الشيخ محمد رفعت
قيثارة السماء
إعداد
محمود توفيق
مركز
الحضارة
العربية

قيثارة السماء

محمود توفيق

جرافيك الغلاف : **د.يحيى عبد الظاهر**

الطبعة العربية الأولى: ٢٩٩٩

رقم الإيداع: ٩٩/٢٠٤٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-135-3



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

الجمع والصف الإلكترونى

مركز الحضارة العربية

تنفيذ : شريف على

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات

ت : ٣٤٤٨٣٦٨ ، ف : ٣١٤٨٠٤٢

الشيخ محمد رفعت

قيثارة السماء

إعداد
محمود محمد توفيق



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾

صدق الله العظيم

ومـا من كـاتب إلا سـيـفنى	∴	ويـبقى الدهر مـا صنعت يداه
فـلا تكتب بـكفك غـيـر شىء	∴	يسـرك فـى القـيـامـة أن تراه

"لكل عالم هفوة ، ولكل جواد كبوة ، ولكل صارم نَبْوَة"

أمـوت ويبقى كل مـا كتبت يدى	∴	فـياليت مـن يقرأ كـتـابي دعا ليـا
لـعل إلـهى أن يـمن بـلطـفـه	∴	ويرحم تقـصيـرى وسوء فـعاليـا

الإهداء

إلى الروح الطاهرة ..

إلى النسمة العاطرة ..

والمشاعر الرقيقة ..

والحس المرهف والقلب الكبير الذى ألهمه الله التعبير عن مكنون آياته وبديع أسراره .. فوصـل الأرض بالسماء وقرب من القلوب الرجـاء وسرى النّفْثُ العذب والبثُّ الشريف من رب العالمين فى نفوس العباد .

إلى روح الشيخ محمد رفعت

.. أجـزل الله لك العطاء وأعظم ثوابك ونور ضـريحك وجـافى الأرض عن جنبيك وجزاك الله خيراً عن كل من سمع تلاوتك واهتدى بها ..

المؤلف

تقديم

الحمد لله الموفق إلى أجل الأعمال وأعظمها والصلاة والسلام على رسول الله الداعى إلى أجل الأعمال وأعظمها ، سيد الأولين وإمام المتقين ورحمة الله للعالمين .

وبعد ..

فالحديث عن سيد المقرئين وإمام المرتلين الشيخ محمد رفعت حديث طويل وعظيم ، يستحق الذكر والتقدير والاحترام ..

وعندما تستمع إلى قراءة الشيخ رفعت ؛ يأخذ بمجامع قلبك ويستحوذ على جوارحك ، ويأخذ بمكامن فؤادك ويصحبك فى رحلة روحية طاهرة سامية من سطح الأرض إلى أجواز الفضاء إلى حيث عرش رب الأرض والسماء وكأنك تسمع القرآن غضاً طرياً مفسراً واضحاً جلياً ، يسبق معناه إلى قلبك ، قبل أن يصل الصوت إلى أذنك فيرق قلبك وتنثال دموعك وتتغير من حال إلى حال فى صحبة صوت الشيخ الجليل محمد رفعت .

وإنى لأحس عندما أسمع وصلة قرآنية له كأنما قرأت ثلث القرآن أو شطره أو كله بعظيم الأثر وجليل الغاية التى وصلت إليها .

ذاع صيت الشيخ وانتشر فى أرجاء المعمورة ، فى وقت لم تكن قد انتشرت فيه أجهزة الإعلام المرئية ولا المسموعة ، ولم تكن قد انتشرت بعد الصحف والمجلات والمطبوعات والمنشورات بالصورة التى هى عليها الآن .

بل إن أعظم جهاز تسجيل وجد فى ذلك الوقت هو ذلك الجهاز الذى يتحرك يدوياً وتوضع بداخله الأسطوانة - أسطوانة التسجيل - التى هى مثل الشريط الآن .

هيا بنا نطوف مع حياة ذلك القارئ العظيم ، الشيخ محمد رفعت ، ابتداءً بمولده ونشأته وانتهاءً بوفاته ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجعله من الفائزين وحشره فى زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وقد أصاب الشاعر حين قال :

الناس صنفان : موتى فى حياتهمو ∴ وآخرون ببطن الأرض أحياء

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

محمود محمد توفيق

العزب - الفيوم.
الاثنين ٢٠ من رمضان لعام ١٤١٨ هـ
الموافق ١٩ من يناير لعام ١٩٩٨ م

تمهيد

ظلت مصر منذ دخلها الإسلام منارة العالم الإسلامى ولا تزال .. وستظل - بإذن الله - ترسل بالكثير من قرائها ووعاظها إلى بلدان العالم الإسلامى ليحيوا لياليها ، وللقراء - ومشاهير القراء على وجه الخصوص - ذكريات كثيرة ومتنوعة ، بل ومثيرة ، إنهم يلقون ما يلقون من حفاوة وترحيب من مسلمى العالم .

وقارئ القرآن الجيد - كما يرى الشيخ محمود خليل الحصرى شيخ المقارئ المصرية فى عصره - يتلخص فى الآتى : إنه يجمع بين جمال الصوت وحلاوة التلاوة وقواعد الترتيل الشرعية التى اتفق عليها علماء القراءات .

وقد استمعت إلى قارئى القرآن فى مصر فأعجبت بالشيخ محمود البجرمى ، خاصة عندما يقرأ سورة النمل ، ثم أعجبت بسماع الشيخ كامل يوسف البهتيمى ، خاصة عندما يقرأ أول سورة الحج ، ثم أصغيت إلى الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، فترة من الزمن ، ثم تعلقت بالشيخ أبو العينين شعيشع ، وكان يجذبنى ويؤثر على أذنى ثم انتهى المطاف بالصوت الذهبى ، الصوت الملائكى ..

إنه صوت الشيخ محمد رفعت - رضى الله عنه - وتعجبت كثيراً ؛ كيف يقرأ هذا الرجل القرآن ؟ وكيف يخرج الألفاظ والحروف ؟

وحاولت تقليده عند تلاوته لقوله تعالى فى سورة النور ﴿يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ .. وحاولت أن أخرج حرف "الهاء" كما يفعل الشيخ ، وحاولت فلم أستطع أن أنطق كلمة ثانية بعد كلمة يهدى - وطبعاً بصوتى الضعيف فما بالنا بصوت الشيخ رفعت أيام شبابه ؟!

لقد اعتمدت فى هذا الكتاب على بعض الكتب والمجلات ، والمقالات التى وردت على صفحات بعض الصحف .. وما إلى ذلك .

قد يكون هناك استطراد فى بعض المواضع، وذلك لأنى أقوم بنقل النص بالكلمة دون اختصار.

وربما يوجد تكرار لبعض الفقرات ؛ وذلك لأننى عندما أحتاج إلى فقرة معينة ، أقوم بنقلها من النص، وعندما أحتاج إلى النص بأكمله أقوم بنقله مع إعادة الفقرة التى اقتبستها من النص من قبل.

قد تجد أيضاً كلاماً عامياً ؛ وذلك لأننى أقوم بنقل الكلام كما هو دونما تغيير أو تعديل من اللغة

العامية إلى الفصحى . وربما تجد إشارة إلى كتاب ورد ذكره فى الصحيفة أو المجلة - ولم أطلع عليه - التى ورد بها المقال فأقوم بذكره ، وربما تجد فقرات مجهولة القائل أو السند ؛ وذلك لأننى أنقل من مقالات وردت فى بعض الصحف ولا أملك إلا المقال فقط دون معرفة اسم الصحيفة .

سأمضى على شرطى وبالله أكتفى ∴ وما خاب ذو جدٍّ إذا هو حسبلا

﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ●

فضيلة الشيخ محمد رفعت رضي الله عنه

اسمه ولقبه :

هو الشيخ محمد رفعت محمود رفعت . ، محمد رفعت اسم مركب ومحمود رفعت اسم مركب أيضاً .

وقد لقب الشيخ الجليل بكثير من الألقاب منها على سبيل المثال : قيثارة السماء - الصوت الذهبى - الصوت الملائكى - القيثارة الإلهية - مزمارة من مزامير داود عليه السلام - صوت من الجنة .

مولده :

ولد الشيخ محمد رفعت بحى المغربلين بالدرب الأحمر بالقاهرة فى مايو عام ١٨٨٢م .

نشأته وحياته :

نشأ الشيخ رفعت بحى المغربلين فى درب الأغوات بالقاهرة ، نشأ فى حى شعبى ومات فيه ، هذا الحى هو الذى أنجب الصوت الذهبى ، الصوت الملائكى العذب ، نشأ الشيخ مبصراً لمدة عامين ، ثم قضى بقية عمره مكفوف البصر ، وقد كان لفقد بصره قصة ، فقد ولد جميل الصورة ، جميل العينين ، ويروى ولداه أحمد وحسين أن جدتهما أم الشيخ محمد رفعت كانت تحمله بين يديها ؛ فرأته امرأة فراحت تشيد بجمال عينيه .. وتعيد وتزيد ..

عاش الشيخ بعدها مكفوف البصر إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

وقيل إنه أصيب برمد فى عينيه أفقده البصر ولكن لم يفقده العزيمة ورب ضارة نافعة فتلك المحنة كانت جواز مروره إلى عالم القراء بل جعلته أعظم من قرأ القرآن (فى العصر الحديث) وربما أقعدته عن وظيفة مدرس فى مدرسة أو موظف فى وزارة .

وقد رزق به والده ضابط الشرطة بعد أن أصبح مأمور قسم الخليفة بعدة أيام وكان والده يحمله على ذراعيه ويسير به فى درب الأغوات بحى المغربلين بالقاهرة وهو يكاد يطير فرحاً بوليده الرقيق صاحب العينين الواسعتين وما كان أحد يصدق وهو ينظر إلى هذا الطفل أنه كفيف البصر .

وتوفى والده وهو فى سن التاسعة من عمره وكان قد بدأ الشيخ الصغير يحفظ القرآن الكريم .

وفى سن الخامسة عشرة عُيِّن قارئاً للسورة يوم الجمعة فى مسجد فاضل باشا بحى درب الجماميز ، ظل يقرأ فيه بانتظام حتى حجبه المرض الذى ألزمه الفراش السنوات الثمانية الأخيرة من حياته . وكان سر وفائه لمسجد فاضل باشا أنه حفظ القرآن فيه ، وتعلم الترتيل والتجويد فى (كتَّاب) ملحق بالمسجد .

ولنستمع إلى قصة حياة الشيخ محمد رفعت من أقرب الناس إليه ألا وهم أولاده : محمد ، أحمد ، حسين ..

يقول ابنه الأكبر محمد محمد رفعت :

"لقد ظل أبى مبصراً لمدة عامين فقط ثم عاش بعدهما ستين عاماً فى الظلام . عاش فقيراً ومات فقيراً .. رفض خمسين ألف جنيه وهو فى أشد الحاجة إلى قروش .. مات جدى وعمر والدى تسع سنوات فشق طريقه دون مساعدة أحد .. عندما مات ظننا أنه خلف ثروة ، ولكنه لم يترك سوى ساعة وروشتة طبيب ومصحف ..

ورغم أنى بلغت الواحدة والخمسين من عمرى - وأنا ابنه الأكبر - فلا زلت أرتجف كلما تذكرته وهو داخل علينا فى الليل ، حاملاً القلة بيمناه ويتحسس طريقه بيسراه ليسقى إخوتى قبل النوم .. كان حنوناً طيباً لا يؤذى أحداً .

أما أغرب ما أذكره عنه هو حبه للملوخية والفسيخ ، ما من مرة ذهب ليرتل فيها القرآن إلا وأقبل على أكلة هائلة ، وكان يضحك ويقول : إن الفسيخ مفيد للحنجرة ، أحب الأوقات إليه كانت تلك التى يرتل فيها القرآن لنفسه ، وكنت أتسلل إلى حجرته لأراه وقد تربع وأخذ يرتل القرآن بصوت خفيض حنون يذيب القلب وقد تمضى الساعات الطويلة وهو يقرأ ويقرأ حتى يناله التعب .

وكانت الدومينو هوايته المفضلة وكان حاذقاً فيها إلى أبعد الحدود ولكنه كان يشترط - قبل اللعب - شرطاً واحداً هو عدم السرقة أو الغش .

ورغم كل ما وصل إليه أبى من مجد وشهرة إلا أنه لم ينس أنه شق طريقه من بداية السلم ، أذكر أنه دعى ذات مرة إلى حفلة تضم عدداً كبيراً من الكبراء ، وتسلل أثناء الحفل رجل يدعى - كامل الحداد - وكان حداداً فعلاً .. دخل الرجل الحجرة واقترب من أبى ثم قبع على الأرض تحت قدميه وأحس به والدى ، فمد يده وسأله عن اسمه حتى جذبه والدى من كتفه فى غضب وهو يصيح فيه .. اجلس بجوارى والله إنك لأكرم عندى من الآخرين .

وكان الشيخ رفعت مشهوراً بقفشاته ونكاته اللاذعة وقد حدث ذات مرة أثناء مرضه الأخير ، أن زاره المرحوم نجيب الريحانى والأستاذ بديع خيرى ، ورغم ما كان به من مرض إلا أنه ظل يلقى

إليهما بنكاته وقفشاته حتى صاح نجيب الريحاني : "إلحق يا بديع ، الشيخ رفعت أصبح منافساً خطيراً واحنا مش عارفين .."

كانت حياة أبى سلسلة مريرة من الكفاح ، ولم يكن كفاحه من أجل كسب لقمة العيش فقط.. كان كفاحه الأكبر فى تنمية موهبته وصقل صوته .. ولتلاوة القرآن آداب وأصول لا يستطيع أحد أن يحيد عنها ..

وبدأ فى تعلم طريقة (الشاطبية) وهى طريقة صعبة للغاية لا يستطيع إجادتها إلا من بذل مجهوداً جباراً . وقد سميت هذه الطريقة بالقراءات السبع .. تعلم أبى هذه الطريقة لأنها تمكنه من قراءة القرآن الكريم بأكثر من قراءة ، وقد كان لتعلمه تلك الطريقة نتائجها .

وقد حدث أن سافر إلى طنطا لافتتاح حفل أقامه فرع بنك مصر هناك ، وكان اليوم جمعة فذهب إلى مسجد سيدى عز ليؤدى الفريضة وما أن عرف المصلون بوجوده حتى ألحوا عليه ليقرأ سورة الجمعة . وجلس والدى يقرأ سورة الجمعة .. وأذن الظهر وألح الناس واستمر يقرأ ويقرأ وأديت فريضة الجمعة قرب عصر ذلك اليوم .

والغريب أن أول تسجيل سجل لوالدى بطريقة القراءات السبع وصل إلى كندا فاستمع إليه أحد الكنديين وأعجب به إعجاباً دفعه إلى التطوع فى الجيش الكندى الأمريكى حتى يستطيع الحضور إلى مصر ، وسماع الشيخ رفعت .

وقصص المعجبين بصوت والدى كثيرة .. فقد كانت السيدة أم كلثوم - مثلاً - تحرص على الحضور إلى المسجد والجلوس فى المندرة مع النساء للاستماع إلى أبى .

ثم مرض والدى بالزغطة ، ولزم فراشه ثمانية أعوام متواصلة ، حار معه الأطباء وناقشت الصحف ذلك المرض فانهالت عليه التبرعات حتى بلغت خمسين ألف جنيه كاملة لعلاجه فى الخارج ، ولكن أبى رفض أن يتسلمها أو يقبض منها مليماً واحداً .. وكان رده على ذلك : "أراد الله أن يمنعنى ، ولا رادّ لقضائه .. الحمد لله .."

ثم مات والدى . ذهب الصوت الماسى الحنون وبكاه كل الناس ، وفوجئنا بعد وفاته بأنه يملك خزانة خاصة ببنك مصر ، وظننا أننا سنجد بها ثروة .. واجتمعت مع إخوتى لجرد محتوياتها وجاء معنا مندوبو مصلحة الضرائب ، ومندوبو البنك نفسه .. وفتحت الخزانة . وكان بها ساعة يد وروشتة طبيب ومصحف .."

وهذا لقاء الأستاذ محمد صفوت مع الحاج أحمد محمد رفعت :

"فى شقة بسيطة بحى المنيرة بالقاهرة وفى مواجهة المستشفى اليابانى للأطفال بالقصر العينى ،

كان لقائى لأول مرة مع الحاج أحمد محمد رفعت وهو رجل وقور فى الثالثة والسبعين من عمره أبيض الشعر طويل القامة تقرأ على محياه طيبة والده العظيم ، وتطالع فيه الكثير من ملامحه ورغم أنه كان يشكو من بعض الضعف فى صحته والإجهاد مع طول الحديث فإن روحه الشابة وطيبة قلبه وكرمه الكبير كانت هى المسيطرة على اللقاء الذى مهد له صديق عزيز هو (السيد البدوى أحمد) بمحل معروف بالقصر العينى يرتاده شخصيات كبيرة وصاحبه محب للعلم والعلماء فيتحول إلى منتدى كبير يؤمه رجال معروفون من بينهم أبناء الشيخ الجليل ، وكذلك الشيخ متولى الشعراوى - رحمه الله - وغيرهم كثيرون .

ولأول وهلة كنت أظن أن اللقاء سيحتاج إلى ترتيبات طويلة لكن اتضح عكس ذلك فما هى إلا دقائق قليلة وإذا بالحاج أحمد محمد رفعت يفتح الباب بابتسامة مرحبة ويعانقنى أنا والشيخ السيد البدوى ودخلنا ..

أثاث شرقى بسيط .. فرش متواضع جميل .. تليفزيون عادى .. كراسى ومناضد مما نجده عند الأسر المتواضعة المتوسطة .. تليفون أسود قديم .. أرفف عليها أسطوانات قديمة لوالده الراحل .. هدوء شامل .

منذ سنوات طويلة وأنا أريد لقاءك فأنا من عشاق صوت الشيخ رفعت ..

أهلاً بك ومرحباً .. هذا بيتك .

بعد هذه النغمة المرحبة والروح المضياف استمر اللقاء لأكثر من ثلاث ساعات من العاشرة مساءً حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل وسألته :

ما وظيفتك ؟

على المعاش فأنا من مواليد ٦/ ٨/ ١٩١١ وكنت أعمل مراقباً مالياً بوزارة التعليم العالى بالرغم من أن والدى - رحمه الله - كان يريد منى أن أصبح أحد حملة القرآن الكريم .

كم عدد أبناء الشيخ رفعت ؟ وما أسماؤهم ووظائفهم ؟

أربعة وهم : محمد ، أحمد ، حسين ، بهية . توفى محمد عام ١٩٧٢ وتوفيت بهية فى ٧/ ١/ ١٩٨٤ ، والمرحوم كان هو بصر والده الضرير ؛ يرتب أموره ، ووهب نفسه لهذه الخدمة فى إخلاص وتفان شديدين خاصة بعد وفاة عمه الشيخ (محرم) الذى كان يقوم بهذه المهمة للشيخ رفعت ، ورفض محمد أى عمل آخر ، رغم ما عرض عليه من أعمال من بينها وظيفة مدرس رياضيات ، وفضل البقاء إلى جانب والده رغم أنه كان يحمل دبلوم مدرسة الصناعات

الثانوية قسم السباكة وأصيب في ساقه وبعد أن أجريت له عملية لم يستطع تحريكها بشكل طبيعي، فلما توفى والده حصل على وظيفة أمين مكتبة مسجد السيدة زينب إلى أن توفى عام ١٩٧٢ - رحمه الله .

وجدير بالذكر أن الدولة كانت قد خصصت معاشاً شهرياً قدره عشرة جنيهات للشيخ رفعت في مرضه فلما مات الشيخ انقطع المعاش ولم ينل أولاده منه شيئاً ، ولم يبق من أبناء الشيخ رفعت سواى أنا وأخى حسين الابن الأصغر ، وهو من مواليد ١٩٢٠ وعلى المعاش حالياً وكان يعمل بوزارة الصناعة .

أريد أن أعرف عن والدكما الشيخ رفعت متى ولد وكيف نشأ ؟

التقط الحاج أحمد رفعت نفساً طويلاً واسترخى على الأريكة وقال : سأتصل بأخى حسين تليفونياً كى يكمل لك البيانات التى تريدها ، فهو يسكن فى حى عابدين أرض شريف شارع حسن الأكبر وسيصل إلينا بالتاكسى واتصل الحاج أحمد بأخيه الحاج حسين رفعت تليفونياً وتسلمت منه السماعة فرحب بى بشدة رغم أنه لم يرنى من قبل .. فقلت له : أرجوك يا حاج حسين أن تحضر لى بعض الشرائط التى تنقص مجموعة الشيخ رفعت فإن عندى حوالى ثلاثين شريطاً أى حوالى ٩٠ بالمائة من مجموعته تقريباً ، وابحث لى عن العشرة بالمائة ، وتحضر معك بعض الصور الفوتوغرافية لك وللمرحوم .

حاضر دقائق وسأكون عندك .. دق جرس الباب ودخل الحاج حسين رفعت ؛ رجل متوسط الطول ، متوسط العود ، به سمرة أهل النيل المحببة يتدفق نشاطاً وحيوية ، رغم أنه يناهز الخامسة والستين .. تخالط شعره الأسود شعيرات بيضاء ، وتلمس فيه روح ابن البلد المحب لعشرة الناس وللمرح والسمر ..

وسألته : نحن فى الكويت والخليج نحب أن نعرف المزيد عن إمام المقرئين الشيخ محمد رفعت؛ ميلاده .. سيرته .. حياته .

ولد الشيخ رفعت عام ١٨٨٢ فى المغربلين بالدرب الأحمر بالقاهرة وكان جميل الصورة إلا أنه وهو فى الثالثة أو الرابعة أصيب بالرمد فى عينيه ، فداووه بأدوية شعبية أفقدته نصف بصره تقريباً فقرر أبوه أن يرسله إلى مكتب لتحفيظ القرآن وتجويده اسمه مكتب بشتك بدرب الجماميز أمام مسجد فاضل باشا الذى قرأ فيه بعد ذلك أيام الجمع ، وكان الشيخ محمد رفعت فى السادسة أو السابعة من عمره وكان قد حفظ على يد أبيه ربع القرآن

الكـريـم وفى المكتب تعلم التجويد على يد الشيخ (محمد حميدة) .

هل تذكر أية طرائف حدثت له فى هذا السن ؟

نعم كان أبوه يحمله وهو صغير فى الخامسة تقـريباً وقرأ أبوه آية قرآنية وأخطأ القراءة فصححه ابنه الطفل فـضربه أبوه ظناً منه أنـه هو الذى أخطأ .. فلما عـاد الأب إلى البيت وراجع المصـحف وجد أن ابنه الصغير هو المصيب فكافأه بعلبة حلوى طحينية مستوردة من تركيا بالبندق واللوز .

من أول من اكتشف موهبة الشيخ رفعت الصوتية ؟

الشيخ حـميدة نفسـه هو الذى حدث الناس عن جمـال صوته وقدمه للآخـرين إلى أن أصبح مشهوراً فى الحى كله ، وأصبح مقرئاً معروفاً منذ ذلك الوقت كما عرفه ملايين المسلمين .

هل اقتصر الشيخ رفعت على قراءة القرآن الكريم ؟

كلا كان يقـرأ القصائد والتواشـيح وينشدها ، وليس أمامى الآن سـوى قصيدة واحدة مـسجلة تسجيلاً قديماً ، ولم أستطع تصفية الصوت إلا فى جزء صغير من الأسطوانة مدته دقيقتان تقريباً .

كيف سارت الأمور بالشيخ رفعت بعد ذلك ؟

توفى والده وهو فى التاسعة وأصبح هو العائل الوحيد لأمه وخالته وأخيه الصغير محرم رفعت وكان يعطى الأجر الذى يحصل عليه من القراءة لخالته ؛ حتى لا يشعرها بأنها غريبة وليؤكد بنوته لها ، وكان يُـدعى للقراءة فى المناسبات وكـان الشيخ أحمد ندا مـعاصراً له لكنه أكبـر منه بحوالى ثلاثين سنة ، ومع ذلك فقد كان يعجب بالشيخ محمـد رفعت ويخشاه ، ويقول فى عجب وشفقة آه من هذا المقرئ الصغير !

ثم أرادت أمه أن تزوجه من صبية تخدمـه ، والعروس التى اختاروها له فى سن الحادية عشرة ، واستمر زواجـه منها ستة أشهر فـقط ، وكان أصلاً غير راض بالزواج وهو فى سن الخامـسة عشرة وبكى وهرب إلى المسجد .

وعلى أى حال تخلص من زوجته الأولى ؛ لأن أهلها أرادوا الاستحواذ والسيطرة عليه وإبعاده عن أمه وخـالته وأخـيه وضـمه إليهـم .. وعندما نزل على السلم قـالت له خالتـه (كاسـفة) : هل صحيح يا محمد ستتركنا ؟ فرق قلبه واختار البقاء مع أمه وخالته ومن يعول . وتزوج للمرة الثانية من والدتنا السـيدة (زينب سالم) وهى من قـرية الفرعـونية بالمنوفيـة ، وكان هو فى سن السـادسة عشرة أو السابعة عـشرة من عمره ، وأهم ما كان مطلوباً فى العروس هو قوة البنيـة لتستطيع حمل

الماء من الآبار والقيام بمهام البيت الشاقة فى ذلك الوقت من عجين وخبيز .. هذا بالإضافة إلى مطلب آخر فى العروس وهو سعة العيون كدليل على الجمال . وأنجب أولاداً ثلاثة وبنتاً واحدة .. والعجيب أن الزوجة الثانية كانت تزور الأولى والعكس وكانت الأولى تقول للثانية ضاحكة : إنت عارفة إن جوزك كان جوزى ؟!

وظل الشيخ رفعت يقرأ القرآن والناس تعجب به وتسحر بصوته فقد وجد فيه الناس شيئاً يختلف عما يسمعونه من كبار المقرئين وقتها مثل الشيخ (منصور بدار) الذى اعترف بأنه لم يسمع صوتاً كصوته على مدى ثلاثين سنة وكذلك الشيخ (على محمود) أستاذ التواشيح فى عصره ، ولم تكن هناك إذاعة ولا ميكروفونات ، وتهافت الناس عليه كى يقرأ فى البيوت والسهرات وفى كافة المناسبات وينشد القصائد والتواشيح .

ويقول الأستاذ محمود السعدنى : وفى حى البغالة والسيدة زينب اصطخبت بأسماع الفتى الضرير أصوات كثيرة ، استطاع أن يخزن منها ذخيرة ضخمة واستطاع بعد ذلك أن يمضغها ويهضمها وأن يستخرج منها فى النهاية صوته الخالد الذى نفذ إلى أعماق الناس كالحقيقة والصدق ولقد كان الشيخ صادقاً فى انفعاله وكانت طبقات صوته ونغماته حقيقة مأخوذة من واقع الناس ، ومن فنونهم ومن أسواقهم وندواتهم وأفراحهم البسيطة .. وأحزانهم العنيفة .. ومعاركهم القاسية مع الحياة ..

ولم يكن من قبيل المصادفة أن يقترن ظهور الشيخ محمد رفعت بظهور عبقرى من نفس الطراز هو الشيخ سيد درويش ولم تكن مصادفة، فقد كان الشعب قد اكتمل وعيه ونموه وترجم هذا الوعى وهذا النمو بثورة ١٩١٩، ومن خلال الثورة كان سعد زغلول يمثل روح الشعب الصلبة القوية المصممة على السير فى الطريق الذى بدأه حتى النهاية ، وراح سيد درويش يلحن صيحات الشعب السياسية والاجتماعية وراح رفعت يلحن حياة الشعب الروحية.

ليست هذه مبالغة ، فسيد درويش ورفعت كانا ، زعيمين من طراز سعد زغلول ، وكما التقت طبقات الأمة وطوائفها حول سعد ، وكما طربت لسيد درويش تراها وهنا العجب - تلتف حول رفعت بطوائفها ، فلم يحدث قط قبل رفعت أن استمع أقباط مصر إلى قارئ ..

بل إن استماعهم إليه كان بشغف وبحب وبإعجاب شديد ، بل إن عظمة رفعت امتدت إلى خارج هذه الحدود ، وهناك قصص كثيرة تروى عن ذلك - سأذكرها عند مآثره - يقول الأستاذ محمود السعدنى : إن هذه القصص ترينا كيف أصبح رفعت بطلاً شعبياً مثل عنترة وأبو زيد الهلالى ينسج الناس حوله قصصاً خرافية ، ولكنها فى الوقت نفسه تترجم مشاعر الناس البسطاء نحو الرجل العظيم ..

وعندما كـان الشيخ رفعت يقرأ في جـامع فاضل باشا لم يكن أحد من المستمعين يتـصايح أو يرفع صوته بعبارات الطرب ، والانسجام كما يفعل المسـتمعون اليوم مع مشاهير القراء .. كان فن رفعت الأصيل يجـبرهم على الصمت ويقيدهم فى أمـاكنهم ، ويحتملون أحياناً فـوق طاقتهم من ضيق المكان أو من حرارة الجو ليستمعوا ، للصوت العبقرى العظيم ..

هذه الحقيقة تكفي - وحدها - دون حاجة للأساطير للدلالة على عبقرية صوته الغريب ..

ودليل الحكايات الخيـالية والحكايات التى حدثت فعـلاً ، دليل خطير خلاصتـه أن هذا الشعب الذى ظلمناه طويلاً لايزال بعض أدبائنا الكبار وفنانينا الكبار - الكبار سناً - يتهمونه بفساد الذوق وعدم التقدير وعدم الإحساس الفنى ، شعب أصيل .. أصيل فى وعيه .. أصيل فى تذوقه وتقديره للفن .. على شرط أن يكون فناً حقيقياً يستحق التقدير .

ويقول قائل : ربما كان التقدير الـذى حظى به رفعت راجعاً إلى حب الناس وتقديرهم للدين، وهو قول غير صـحيح .. فقد كان مع رفعت مـجموعة من القراء لا يمكن حصـرها . ولا تجاهلها وكان من بينهم عـباقرة لمعوا فـجأة ثم طواهم النسيـان ، ولم يبق منهم ومن المجموعة الحـاشدة إلا رفعت وحده خير شاهد على أن الفن الأصيل يبقى وما عداه يزول ..

وفى كتاب (الشـرق فى فجر اليقظة) يقـول الأستاذ أنور الجندى : كان للشـيخ رفعت ندوة فى شارع يحيى ابن زيد فى حى السيدة زينب .. يجتمع فيها هواة فنه الرفيع . وحينما كان يقرأ الشيخ رفعت ؛ ينصت الناس وكـأن على رءوسهم الطير ، ولو أسـقطت إبرة لسمعت صوتهـا ، والشيخ رفعت يحـتل أروع خلق للعزوف عن اتخاذ قراءة الـقرآن وسيلة للكسب ، إن الشيخ رفـعت كان يقرأ القرآن فى سراى مصطفى فاضل باشا فى ليالى رمضان وظل على هذا أحد عشر عاماً متصلة، واتصل اسمه بأعلام القراء فـى مصر فى تلك الفترة .... مثل الشيخ أحمد نـدا والشيخ القيسونى والشيخ الصوأب .. وغيزهم ..

دعاه نظام حيدر أباد ليـقرأ عنده لقاء ١٥ ألف جنيه .. وكان وقتهـا الجنيه جنيهاً ولكنه رفض . فلما أحس مـفاوضوه أن رفضه قـد يكون بسبب قلة المال المعروض زادوه الأجر .. ومـا علموا أنه كان عازفاً عن مثل هذا المال ..

يقول الشيخ رفعت عن نفـسه : "لم أسهر رمضان عند كائن من كان سـوى سراى فاضل باشا التى تعلمت فيـها القرآن وكـانت بعض سهراتى فى الريف وكـانت تكلفنى ما لا أطيق من متـابعة القراءة حتى أتعب .. خاصة عندما كان العمد يحضرون ويطلبون سماعي.. وكان السفر يضطرنى إلى تغيير نظام حياتى . ومع ذلك لم أكن أتبـرم .. لكن أهم سهراتى فى رمضان كانت فى بيتى ..

وكنت أقضى الوقت فى الاستماع إلى الموسيقى والموسيقيين العالميين مثل : "بيتهوفن وموزارت"

ويقولون : إن الشيخ رفعت كان يخصص نهاراً فى الأسبوع لزيارة حديقة الحيوان .. وكان يحلو له أن يجلس قريباً من بيت الأسد ليسمع زئيره مرة بعد أخرى ، فهو كما يقول ويردد : إن صوت الأسد أكثر الأصوات عمقاً فى (القرار) ..

وفى عصر الشيخ رفعت كانت هناك قارئات للقرآن الكريم ، أشهرهن كانت الشيخة (أسمهان) التى كانت تقرأ القرآن فى سوامر حاشدة بالرجال .. مع الشيخ أحمد ندا ، والشيخ حسن الصواب ، وكان صوت الشيخة أسمهان يعجب الشيخ رفعت كل الإعجاب ويقول: إنه فى حياته لم يسمع صوتاً يفوق صوتها فى الترتيل .

وتحت عنوان «نجوم قراءة القرآن» بمجلة الكواكب يتحدث الأستاذ محمد عبد الوهاب عن ذكرياته مع الشيخ محمد رفعت فيقول : نشأت بينى وبين الشيخ رفعت صداقة عميقة ، فكان يدعونى لأسهر معه فى بيته - بحى البغالة - وكان يغنى لى بعض القصائد فى رخامة ساحرة، مثل :

(وحقك أنت المنى والطلب - أراك عصى الدمع - بحق أهواك يا من أنت عمرى) ..

وأحياناً كان الشيخ رفعت يقلد نداءات الباعة الجائلين فى ظُرف بالغ . وعندما كنت أستمع إليه وهو يقرأ القرآن الكريم ، أتحول من صديق إلى خادم ، وأجلس تحت أقدامه ، وأنا أستمع إليه فى خشوع والدموع تنهمر من عينى فقد كنت أحس أنه بين يدى الله فعلاً ..

والشيخ رفعت الذى ولد بحى المغربلين ، كان حينما .. يقرأ سورة الكهف فى مسجد فاضل باشا - وعمره ١٥ سنة - يزدحم المسجد بالمصلين فيفرشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا إليه- ولم يكن يحاول - كما يقول عبد الفتاح غيث - صاحب أعظم أرشيف فى مصر - أن يعلو بصوته أو يرتفع به.. ، ومع ذلك كان مَنْ فى المسجد وخارجه يستمعون إليه ولا يفوتهم حرف واحد مما يقوله .

وقد استطاع ذلك الفتى الضرير النحيل أن ينتزع مكانه كمقرئ كبير وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ..

وقد أجرى برنامج «أهل الذكر» حواراً مع الأستاذ محمد عبد الوهاب أجراه الأستاذ محمود السعدنى :

أستاذ عبد الوهاب .. **هل تحب سماع تجويد القرآن كثيراً ؟**

طبعاً .. بل إننى حفظت القرآن وبدأت ألحانى من القرآن .. لأننى تعلمت منه الموسيقى وأنا فى

مسجد الشعرانى - جدى .

ماذا تعنى بتعليمك الموسيقى من القرآن ؟

إن الروح الموسيقية واتتنى من حفظ القرآن الكريم .. والقرآن به موسيقى فى تركيب كلماته كتفاعيل .. ويتميز القرآن بموسيقية تلمسها فى الكلمات والحروف .. هذا بالإضافة إلى الروحانية التى تشعر بها فى التلاوة.. وهذه الروحانية لا توجد إلا فى القرآن .. والروحانية موسيقى وإحساس.

وحتى اليوم تسمع القرآن الكريم ؟

طبعاً أسمعه بشغف .

من تحب من المقرئين .. ؟

الشيخ مصطفى إسماعيل .. هذا من الأحياء

ولكن من تحب من الذين انتقلوا إلى رحمة الله تعالى ؟

الشيخ محمد رفعت .. أنا كنت أعيش تحت رجليه .

هل كنت صديقاً له ؟

كنت صديقه وتحت رجليه .. يعنى صديق بدون قراءة القرآن .. ومع قراءة القرآن ينقلب الصديق إلى خادم .. كنت أجلس تحت رجليه وأسمعه ..

هل كان صوت الشيخ رفعت يؤثر فيك بهذه الدرجة ؟

نعم . كنت أدرك أنه قبل أن يقرأ الآية يحس أنه بين يدى الله ويقرأ له الآيات فعلاً ..

متى سمعته ؟

وأنا صغير جداً فى حارتنا ، وأذكر أن الفراشين ضربونى «علقة» لأننى كنت صغيراً ودخلت بالجلابية وسط الحاضرين بالسهرة لأنه كان ينشد فى الموالد إلى جانب تلاوة القرآن الكريم ..

هل الذى دفعك إلى سماعه وأنت صغير هو الإيمان .. ؟

الإيمان وصوت الشيخ رفعت نفسه .. كان الإيمان والصوت ممتزجين ببعضهما ..

هل ظلت علاقتك به قائمة إلى أن توفى ... ؟

نعم

هل حاولت تقليده ؟

ليس التقليد الحرفى .. ولكننى كنت أقرأ بعض الآيات على طريقته .. وكنت من هواة المقرئين بصفة عامة ولم أكن من هواة الأفندية ؛ أى أننى تتلمذت على المقرئين فى الموسيقى ...

هل يمكنك القول بأن الشيخ رفعت - رحمه الله - له تأثير عليك ؟

له تأثير على مشاعرى وأحاسيسى بما يثيره من روحانية ..

هل طريقته فى الأداء أثرت عليك فى أول حياتك الفنية .. ؟

لم تؤثر على فنى من الناحية التفصيلية، لأن مجال فنه يختلف بعض الشيء عن فن الغناء والطرب.

هل قمت بتسجيل شيء للشيخ رفعت ... ؟

لا ... لكن كان لى صديق يقوم بمهمة التسجيل عندما كان التسجيل صعباً ، هو المرحوم محمد خميس ، وكنا نتوجه إليه لنسمع صوت الشيخ رفعت فى مصر الجديدة ، وأعتقد أن الإذاعة أخذت من تسجيلاته الشئ الكثير ..

هل التسجيلات التى تذاع له الآن تعطى حقيقة المقرئ محمد رفعت .. ؟

القليل منها مثل سورة «مريم» التى تعطى بعضاً من صوت الشيخ رفعت فى اكتماله وشبابه ومقدرته ، أما بقية التسجيلات فتحمل تأثير مرضه وكأنك تسمع صوتاً جميلاً لكن عليه مسحة من المرض .

هل تعتقد أن سماع تلاوة القرآن تفيد الملحن أو المطرب ؟

نعم تفيده خاصة إذا لم يستمع إليها بطريقة سطحية ثم ينساها وكأنه ورقة «سوليفان» أما إذا كان كورقة «النشاف» يمتص ما يسمع وتمتزج بها روحه فإنها .. تفيده ..

***

كان الشيخ رفعت - رحمة الله عليه - إنساناً حساساً يشعر بكرامة الانسان ويوفرها لكل من حوله ..

ومع أنه كان قيثارة السماء فى قراءة القرآن ، ولم يأت مثيل لأدائه وصوته .. فإن للشيخ رفعت بعض الموشحات الدينية التى كان يؤديها غناءً ..

والذين يعرفون الشيخ رفعت يعرفون شدة تواضعه وشدة حساسيته ، حتى إنه عندما أصيب بالمرض وصرف كل ما عنده على حنجرته ومرض «الزغطة» .. نادى الأستاذ فكرى أباظة - يرحمه الله - على صفحات «المصور» .. بافتتاح اكتتاب لعلاج الشيخ رفعت فى الخارج .. لأنه ثروة قومية روحية مصرية .. وانهالت الأموال على المصور .. حتى بلغت خمسين ألف جنيه . ولكن الشيخ رفعت رفض الاكتتاب شاكراً وأوقفه .. هذا فى الوقت الذى كان يبيع فيه أثاث بيته ليشترى الدواء ...

ويقول القريبون من الشيخ رفعت - رحمه الله - : إنه عندما أصابه المرض .. استسلم إلى أمر الله وجلس فى منزله يصلى ، وكان يغلق على نفسه باب حجرته بالساعات ، وكان إذا ما دخل

أحد من أولاده .. يراه يستقبل القبلة ويدعو الله بالشفاء .. وعيناه تبكيان الدموع مدراراً .. وكان دائم الدعاء يقول : «اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه ..» ولقد كان مؤمناً راضياً بقضاء الله وقدره ..

ويقول الكاتب أبو بثينة - الكواكب - تحت عنوان (محمد رفعت) :

"التاسع من شهر مايو عام ١٩٥٠ روع العالم الإسلامى بفقد إمام المقرئين المرحوم الشيخ محمد رفعت فحزنت الفجيعة فى كل قلب ، كانت تلاوته تغمره بالإيمان والخشوع ، وهذه صورة من حياة الرجل الذى لم يرتفع صوت بتلاوة القرآن الكريم أجمل من صوته ، وتفرد بأسلوب فى التلاوة لم يسبقه قارئ ، وقلّ أن يلحق به أحد .. صور بعضها سمعتها منه فى حياته وبعضها رأيتها بنفسى أسجلها هنا تحية لذكراه.

كنت فى شبابى أحرص على أن أؤدى صلاة الجمعة فى مسجد فاضل باشا المشهور باسم «جامع بَشْتَك» فى درب الجماميز لأستمتع بسماع سورة الكهف من الرجل المعجزة الشيخ محمد رفعت وكنت أذهب إلى المسجد قبل الصلاة بأكثر من ساعتين فأجد ألوفاً من المصلين قد سبقونى إليه .. ليلحق كل منهم بمكان قريب من مجلس الشيخ .

ولم نكن قد عرفنا «الميكروفون» فى تلك الأيام ولكن صوت الشيخ كان يجلجل فى جنبات المسجد هاءثاً رقيقاً قوياً والمصلون يكادون يحبسون أنفاسهم حتى لا تفوتهم نبرة واحدة من نبرات الصوت الرائع الذى يتسلل إلى القلوب فيملؤها إيمانا وخشوعاً ورهبة .

وكنت أسمع أن الشيخ سيتلو القرآن فى مأتم شبرا أو مصر الجديدة أو الجيزة فأذهب إلى السرادق ولو لم أكن أعرف أصحاب المأتم لأستمتع بتلاوة الشيخ رفعت .

وكان من الطبيعى ألا يشارك الشيخ فى التلاوة إلا كبار القراء من أمثال : الشيخ على محمود والشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والشيخ أحمد ندا والشيخ محمد السيسى ، فكانت كل مناسبة يقرأ فيها الشيخ محمد رفعت تعد مهرجاناً لكبار قراء القرآن الكريم ..

ومضت الأيام إلى أن ساقنى عملى الصحفى كناقد للإذاعة بجريدة المصرى عام ١٩٣٩ إلى لقاء الشيخ محمد رفعت فى داره بقرب زين العابدين "وكانت بيننا صداقة خالصة حتى انتقل إلى رحمة ربه ..

ذات يوم سألته: كيف حفظ القرآن ومتى وكيف اكتشف أنه على هذه الموهبة العظيمة ؟ فقال :

"لم أنعم بنور الحياة إلا فترة قصيرة من طفولتى فقد أصاب عينى مرض ذهب بنورهما وكان على والدى أن يبحث أمر مستقبلى ، وهو مستقبل يكاد يكون محدوداً ، بدايته حفظ القرآن الكريم وكنت لصغر سنى يحملنى والدى على كتفه إلى الكُتّاب ويتركنى هناك ثم يعود ليحملنى إلى

البيت بعد انتهاء الدرس .

واستقر بى المقام فى كُتّاب كان ملحقاً بمسجد فاضل باشا بدرب الجماميز .. وكان الفقيه يطالبنا بأن نقرأ ما نحفظ من القرآن بصوت مرتفع .. ولما لاحظ جودة قراءتى وحسن صوتى منحنى عناية خاصة .. وكان يستكثر من قراءتى فيقول لى "اقرأ يا شيخ محمد" .

ومع الأيام لاحظت أننى حين أتلو القرآن يتجمع الناس بقرب شباك الكُتّاب المطل على شارع درب الجماميز وتدلنى أصواتهم على أنهم كثيرون ، وبدأت أسمع كلمات الإعجاب والتشجيع ممن يتجمعون خارج الكتاب فدفعنى هذا إلى زيادة الاجتهاد فى الحفظ والتجويد ، وبذل الجهد فى حسن الترتيل .. ومضيت أستزيد من دراسة أصول القراءة الصحيحة ، وتعلمت القراءات المختلفة وفتح الله على فنلت الحظوة والقبول عند جمهرة المستمعين ، فلما بلغت ما بلغت من الشهرة رأيت أن من الوفاء للمسجد الذى تعلمت فى رحابه أن أظل أتلو القرآن فيه بغير أجر ما حييت" .

وقد تعاصر مع الشيخ رفعت كثير من نجوم القراءة .. وزاملوه فى السهر فى الإذاعة ، ومنهم الشيخ على حزين ، والشيخ على محمود والشيخ عبد الفتاح الشعشاعى ، والشيخ محمد الصيفى، والشيخ عبد العظيم زاهر وكذلك الشيخ محمود صبيح .. وغيرهم .

وقبل الشيخ رفعت - كما يقول الشاعر كمال النجمى - كان الناس يتتبعون الأصوات الجميلة التى تتلو القرآن فى المساجد طوال شهر رمضان .. فلما ظهر الشيخ رفعت صار شهر رمضان موسماً لصوته وتلاوته ..

وكان ينطبق على الشيخ رفعت قول الرسول ﷺ - وهو يذكر صوت سالم مولى أبى حذيفة .. قارئ القرآن «الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا» أو قول عمر بن الخطاب لما سمع أبا موسى الأشعرى يتلو القرآن : «من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل» .

وهناك ظاهرة غريبة كانت فى حياة المغفور له الشيخ محمد رفعت تلك هى ارتباطه الشديد .. بالسيدة زينب - رضى الله عنها - وبمقامها ..

فقد كان يركب العربة ، فإذا ما وصلت العربة إلى المسجد ، بدون أن ينبهه أحد ، وقف فى العربة ، ورفع يده محيياً . كيف كان يعرف أن العربة وصلت إلى المسجد .. ؟

كان يرى ببصيرته ..

كانت شعبية الشيخ رفعت جارفة ، وكان طرازاً فريداً متميزاً فى الصوت والأداء فى عصره .. وقد أحسن خدمة القرآن الكريم وعرف له مكانته فأحسن الله إليه ببركة القرآن .. ، وتوالت عليه نعم الله وأخذ مكانه فى صدارة الصف الأول من مشاهير القراء فى عصره ، أمثال «الشيخ يوسف المنيلاوى ، والشيخ منصور بدّار ، والشيخ أحمد ندا ، والشيخ على محمود ، و الشيخ محمد

القهاوى ، والشيخ حسن المناخلى ، والشيخ محمود البربرى» .

وكان يحرص على سماع هؤلاء الرواد فى رحاب القرآن يستزيد من فنونهم ويضيف إلى حصيلته فى التلاوة رصيداً .. فوق رصيد ..

عن النبى ﷺ – أنه قال : "**من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة : الإمام المقسط وذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن لا يغالى فيه ولا المجافى عنه**" .

وكان المغفور له الشيخ محمد رفعت حاملاً للقرآن لا يغالى فيه ولايجافى عنه ..

وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال "**القرآن أفضل من كل شىء ، فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله تعالى**" وكان المغفور له الشيخ محمد رفعت موقراً للقرآن أشد توقير ، وروى أنس أن النبى ﷺ قال : "**حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله ...**"

وهناك أحد المتحدثين يتحدث عن ناحية الخشية والخشوع فى تلاوة الشيخ رفعت فيقول : روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : "**أحسن الناس صوتاً : من إذا قرأ رأيته يخشى الله..**" وكان الشيخ رفعت إذا قرأ رأينا أنه يخشى الله تعالى كأشد ما تكون الخشية .

وهناك أحد المتحدثين يتكلم عن أن الشيخ رفعت لم يكن يرجع بالقرآن ترجيع الغناء والنوح .. فقال : "ذكر الإمام الحافظ أبو الحسن وأبو عبد الله الترمذى أن رسول الله ﷺ قال "**أقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجىء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم..**"

وقرأ الشيخ محمد رفعت القرآن الكريم بلحون العرب ، ولم يرجع به أبداً ترجيع الغناء والنوح ..

إن الله سبحانه وتعالى يعطى من يشاء ما شاء .. ، ولقد أعطى الشيخ محمد رفعت ملكاً عظيماً كبيراً ، سيظل ما تبقى من صوته مرتلاً آيات الله البينات يتردد وتخشع له القلوب ، ما بقى القرآن وأهل القرآن .

هذا هو الشيخ محمد رفعت القارئ المعجزة ، القارئ الذى رحل عن عالمنا منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، لكنه حى بإنسانيته وبأخلاقه العظيمة ، وبما قدم من علم ومن موهبة فذة فى قراءة القرآن ●

تعليمه وشيوخه

بعدما أصيب بالرمد قرر أبوه أن يرسله إلى مكتب لتحفيظ القرآن وتجويده اسمه مكتب «بَشْتَك» بدرب الجماميز أمام مسجد فاضل باشا الذى قرأ فيه القرآن بعد ذلك ، وكان قد تعلم ربع القرآن حفظاً على يد والده ثم تعلم بقية القرآن حفظاً وتجويداً على يد الشيخ ، «محمد حميدة» فى الكُتّاب .

وبعد وفاة والده وهو فى سن التاسعة كان قد بدأ الشيخ الصغير يتعلم القرآن على يد واحد من خيرة الحفاظ.. اسمه الشيخ «عبد الفتاح هنيدى» .

ثم تلقى الشيخ محمد رفعت دروساً فى تفسير القرآن الكريم والقراءات السبع وتعلم فن التجويد على يد أستاذيه الشيخ «محمد البغدادى» والشيخ «السمالوطى» ثم اتجه أيضاً صقلاً لموهبته إلى دراسة الموسيقى ليتعلم قواعدها وأصولها وحفظ مئات الأدوار والتواشيح والقصائد الدينية ، وتعلم أيضاً مبادئ العزف على العود وبعض الآلات الموسيقية الأخرى ، وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن يكمل العاشرة من عمره .

وقد درس الشيخ رفعت - رحمه الله - القرآن الكريم .. حفظاً وتجويداً فى الكتاب الملحق بمسجد فاضل باشا .. بدرب الجماميز .. ووفاء منه لذلك المسجد الذى تعلم فى رحابه فقد ظل يقرأ فيه الجمعة أحد عشر عاماً متواصلة .. إلى أن حجبه المرض .

ولكن الفنان رفعت لم يقنع بدراسة فنون البسطاء بل راح ينهل من الفن الموسيقى الرفيع ، وعندما مات خلف ثروة كبيرة من أسطوانات «باخ وموزارت وبيتهوفن وليسْت» وعدة أسطوانات أخرى للعازف الكبير «باجانيتى» ، وكان رفعت يقضى أمسيات طويلة مع هؤلاء العباقرة الأفذاذ ، يستمع إلى النغم الرائع الذى أبدعوه فظل مخلداً على الزمان .

ولم يقنع الشيخ رفعت بدراسة الموسيقى العربية ، بل راح ينهل من الفن الكلاسيكى الرفيع.

ولم يدرس الشيخ رفعت علوم القرآن فى مدرسة أو معهد نظامى ، ولكنه درسها جميعاً واستوعبها فى دراسات شخصية حرة.. وساعده على ذلك أن علماء عصره جميعاً.. كانوا من المعجبين بتلاوته وأسلوبه فى قراءة القرآن، كما اشترى كثيراً من الكتب وكان يقرؤها له بعض الأصدقاء المقربين إليه. مما أدى به إلى أن يسأل كثيراً ويستوعب معظم العلوم القرآنية . وفعلاً فإن إجادته وتجويده وفهمه لمعانى القرآن الكريم وآياته جعلت له مكانة ممتازة بين المقرئين وبين الجمهور.

وبمرور الأيام أصبح له جمهور يحضر لسماعه خصيصاً ، من أبعد أحياء القاهرة ، بل ومن أقاليم مصر المختلفة ، وتجلت إنسانيته فى أزوع صورها بعد شهرته ..

وكان يسلك سلوك باقي الصبية فينشد القصائد والتواشيح الدينية إلى جانب قراءته للقرآن الكريم ، ولكنه عدل عن إنشاد القصائد فى عام ١٩٣٠ .. واكتفى بقراءة القرآن الكريم ..

ومن خلال سماعى للقراءات التى كان يقرؤها الشيخ محمد رفعت ، أستطيع أن أقول : إن الشيخ محمد رفعت تعلم القراءات السبع الموجودة فى كتاب "متن الشاطبية" للإمام الشاطبى ، والتى تحتوى على سبع قراءات متواترة عن رسول الله ﷺ وهى قراءات : الإمام نافع المدنى ، وابن كثير المكى ، وأبو عمرو البصرى ، وابن عامر الشامى ، وعاصم ، وحمزة والكسائى الكوفيين .

ولكل إمام من الأئمة المذكورين راويان يرويان عنه القراءة فيكون مجموع الروايات للأئمة السبعة أربع عشرة قراءة أو رواية .

ولم يتعلم الشيخ محمد رفعت القراءات الثلاث المتواترة عن الرسول المتممة للقراءات العشرة، والتى تحتوى على ثلاث قراءات موجودة فى كتاب «الدُّرة المضية» للإمام شمس الدين الجزرى وهى قراءات : الإمام أبو جعفر المدنى ويعقوب البصرى وخلف الكوفى .. ولكل إمام من الأئمة الثلاثة راويان يرويان عنه ، ولم يقرأ الشيخ رفعت بأى من الثلاثة السابقة .

ولم يتعلم الشيخ رفعت القراءات الشواذ ولم يقرأ بها .

إذن فمجموع القراءات المتواترة عشر قراءات سبع فى الشاطبية وثلاث فى الدرة ، ومجموع القراءات الشواذ كثير جداً ولكن منها أربعة مشهورة .

ومن التسجيلات التى نسمعها للشيخ نلاحظ أنه كان يأتى بالقراءات السبع فى بعض الآيات وذلك إذا كان بالآية اختلاف بين الأئمة القراء المذكورين آنفاً ..

وذلك مثلما يفعل عند تلاوته للآية الكريمة فى سورة آل عمران **﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى ..﴾**

والآية **﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾** .

وأيضاً عند تلاوته للآية العظيمة **﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح..﴾** من سورة النور .

والآية الكريمة **﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾** من سورة الطور .

والآية **﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهوراً﴾** من سورة الإنسان .

وغيرها كثير من الآيات التى يأتى فيها الشيخ بالقراءات السبع المتواترة ، بالطريقة المعجزة الساحرة التى كان يقرأ بها .

وكثيراً ما أسمع المشايخ والمقرئين اليوم فى المساجد ، يسير فى القراءة - قراءة حفص عن عاصم - فإذا ما أعجبه صوته وأخذته العظمة والأبهة ، وقال له المستمعون : الله .. الله يا مولانا ، الله .. الله يا سيدنا ، يقوم على الفور بالإتيان ببعض القراءات القرآنية المختلفة التى تعجبه ويستطيع القراءة بها ، حتى يقول للمستمع : أنا بعرف قراءات تانية ..

أبداً لم يكن الشيخ محمد رفعت - رحمه الله - كذلك ؛ بل إنه كان يقرأ القراءات بطريقة عجيبة لم نعهدها عند غيره من المقرئين لا الذين سبقوه ولا الذين عاصروه ولا الذين أتوا بعده" .. رحمه الله .

بعبارة أخرى : الشيخ محمد رفعت أعظم قارئ استطاع أن يأتى بالقراءات القرآنية بطريقة ساحرة تجذب العالمين لسماع القرآن الكريم .

ولو قدر الله وتوفر لنا تسجيل للقرآن الكريم كله بصوت الشيخ محمد رفعت لامتلكنا مدرسة بل جامعة فى تعليم القرآن والقراءات القرآنية المختلفة - يرحمه الله ●

تلاميذه

كان للشيخ رفعت - رضى الله عنه - تلاميذ ومعجبون من القراء يتعلمون منه صناعته ويحاكونه فى التلاوة والأداء . لكن الوحيد من القراء الموجودين الآن الذين رافقوا الشيخ محمد رفعت وتتلمذوا عليه وصادقوه هو الشيخ أبو العينين شعيشع - أطال الله بقاءه -

يقول الشيخ شيعشع :

حين جئت إلى القاهرة وعمرى ١٧ سنة فى عام ١٩٣٩ ، ظللت موزع العقل وكانت معى أمى التى لا أطيق الابتعاد عنها ، وسكنت فى غرفة فى لوكاندة بورفؤاد فى أول شارع محمد على ..
ويتحدث الشيخ شعيشع عن ذكرياته مع الشيخ رفعت فيقول :

وحين جئت إلى القاهرة انبهرت به وذهبت إليه فى مسجد فاضل باشا .. وبعد القراءة كنت بالقرب منه ، فسمعت البعض يقول له : يا عم الشيخ رفعت فيه واحد جديد اسمه شعيشع بيقلدك، فرد الشيخ قائلاً : لا .. هولا يقلدنى ، إن صوته قريب من صوتى ، وعلى رأى المثل يخلق من الشبه أربعين ..

هنا قمت وسلمت عليه ، وقبلت يده ، وقلت له : أنا شعيشع . قال : أهلاً حبيبى ، وأخذنى بالأحضان . وجلست أمامه كتلميذ فى محرابه ، وكان النور يتلألأ من وجهه واتخذت منه أستاذاً لى مدى الحياة ، وكنت أذهب إلى بيته . وحين كانوا يقولون للشيخ رفعت عاوزينك تقرأ كان كثيراً يعتذر ويرشحنى ويقول لهم : كأنكم جبتوا الشيخ رفعت ..

وقد أجرى برنامج "أهل الذكر" حواراً مع فضيلة الشيخ أبو العينين شعيشع أجراه الأستاذ محمود السعدنى :

ذكر المرحوم الشيخ محمد رفعت - فى حياته - أنك من تلاميذه النجباء ، فهل أنت تلميذه فعلاً ؟

فى الواقع لى الشرف الكبير أن أكون تلميذاً للشيخ محمد رفعت لأنى تأثرت به جداً من زمن طويل حتى قبل أن أمتهن مهنة القراءة ، وكنت فى ذلك الوقت فى قريتى التى لم يكن بها سوى راديو وحيد عند العمدة «الحاج مصطفى عطافى عبد الله»

وقد وضعه فى مكان مرتفع حتى يسمعه الجمهور - جمهور القرية - وكنت فى الثانية عشرة من عمرى سنة ١٩٣٥ تقريباً ، وكنت حريصاً على سماع الشيخ رفعت فكنت أتوجه قبل موعد

القراءة بمدة وأقف طوال الليل في البرد كي أسمعه ، وكان البث القرآني يتأخر في ذلك الوقت .. أي في حوالي التاسعة أو التاسعة والنصف مساءً وبعد أن أسمعه أتوجه إلى البيت وأحاول تقليده، وكنت ، أحياناً أوفق حسب اجتهادي ..

كيف تطورت العلاقة بينك وبينه ؟

لقد قابلته لدى وصولي إلى القاهرة في أول عملي بالإذاعة سنة ١٩٣٩ وتوجهت إلى مسجد فاضل باشا بالجماميز حيث كان الشيخ رفعت يقرأ وسلمت عليه وقبلت يده ، فلما سألني عن اسمي ذكرته له فاحتضنني بشدة في وسط المسجد وقال لي : تعال يا حبيبي .. وكان صوته خافتاً بعض الشئ وقال لي : من زمن بعيد وأنا أريد أن أراك وأسمعك ..

هل كان قد سمعك بالإذاعة ؟

نعم سمعني بعد عدة قراءات لي .

هل بدأت القراءة بالإذاعة وأنت تقلد الشيخ رفعت ؟

نعم كنت أحاول تقليده كي يكون صوتي قريباً من صوته ، ولم أقابله شخصياً بعد أول تلاوة وإنما كنت أتوجه لمسجد فاضل باشا وأراه من بعيد ..

إذن كانت لديه فكرة عنك ؟

نعم ، وبعد عدة قراءات لي قابلته كما ذكرت لك وحدث التعارف فوجدت منه تشجيعاً كبيراً وكان يغمرني بعطفه واهتمامه إلى أن طورت نفسي وأصبحت لي طريقتي .. وكنت أتردد عليه دائماً ..

أعرف أن الشرائط التي تذيعها الإذاعة أضطرت إلى إكمالها بأصوات مقرئين آخرين فهل قمت أنت باستكمالها ؟

نعم

كم شريطاً تقريباً ؟

حوالي خمسة أو ستة شرائط من أفضل تسجيلات الشيخ رفعت وذلك راجع إلى أن الهواة الذين كانوا يسجلون للشيخ رفعت كانت تسقط منهم بعض الآيات عندما يقلبون الأسطوانة ، فاستدعاني الأستاذ - أمين حماد - مدير الإذاعة وطلب مني ضرورة استكمالها فرحبت بالفكرة كي أرد بعض الجميل لأستاذي الجليل ●

صوت الشيخ محمد رفعت
والسُّلم الموسيقى العربى

تحدث الكثير من العلماء والأساتذة والمقرئين والمطربين ..عن صوت الشيخ محمد رفعت ذلك الصوت الذى أثر فى قلوب المسلمين وغير المسلمين .

ولنبدأ بأقوال العلماء فى هذا الصوت : فى حوار إذاعى مع الأستاذ الدكتور يوسف شوقى- الأستاذ بكلية العلوم والمشرف على مشروع قياس السلم الموسيقى العربى بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - دار هذا الحوار وكان موضوعه «كيفية المقامات التى يتلو منها المرحوم الشيخ محمد رفعت» .

قال الدكتور : هو .. الأستاذ الشيخ محمد رفعت .. رحمه الله .. إحنا بنسمعه من هذه التسجيلات .. وهى تسجيلات آخر أيامه ، وإنما الذى استمع إليه قبل أن يسجل يجد أن فيه ظاهرة غريبة جداً .. فى هذا الصوت .. وهنا فى هذه الحالة المرجع إلى الذاكرة .. إن الشيخ رفعت .. وهو فى آخر أيامه التى سجلت .. وكان مريضاً .. مع هذا .. صوته .. والكلام هنا .. بقه مش للأذن البشرية .. ولكن للآلات .. لآلات القياس العلمى .. وعلى الرغم من هذه الظواهر المرضية التى كانت ممكن جداً أن تؤثر على صوت أى إنسان فتحرمه من الكثير من خواصه النادرة .. كان ومازال هذا الصوت .. ذا صفات عالية لدرجة أن الفروق بين صوت الشيخ محمد رفعت وبين الأصوات الأخرى من المغنيين والمقرئين - مش بس المقرئين - والمغنيين أيضاً ، فروق كبيرة جداً .. واحنا وضعناه فى محاذاة الأصوات الثلاثة العليا من حيث القيمة الفنية من الأصوات التى استمع إليها الناس سواء غناء أو قراءة - وهى أصوات : أم كلثوم والشيخ يوسف المنيلاوى والشيخ محمد رفعت - كان الثلاثة دول على مدى سبعين سنة من الاستماع إلى النغم هى قمة المميزات الصوتية التى أى إنسان يأمل .. مش إنه يعنى يجاريها .. لا .. يأمل أن يستمع إليها فى يوم من الأيام..

لو سيبنا المَكَنْ يتكلم تلاقى الشيخ رفعت صوته له مميزات واضحة جداً :

«يبدأ القارئ فى قراءة القرآن الكريم تقليدياً من مقام البياتى ثم يتدرج إلى المقامات الأخرى كما يوحى إليه معنى الآيات الكريمة التى يرتلها .

وكذلك تعوده على التحرك النغمى عند التلاوة - وكثيراً ما يعجز القارئ عن أن يعود إلى ذات

الطبقة التي بدأ منها عندما . يقول "صدق الله العظيم" إنما ليس الشيخ رفعت"

كان حريصاً على هذا ، "يعنى لو تصورنا" أن من باب الخطأ المحتمل أن يكون فيه مثلاً فرق ١ من ١٠٠٠٠من الناحية الحسابية .. وهذا جائز أن يحدث من إنسان يستخدم .. صوته .. وبدون مصاحبة أي آلات .. وهذا الخطأ الواحد من عشرة آلاف .. ما كانش موجود في صوت الشيخ رفعت وكان تردد النغمة التي يبدأ منها هو في ذاته .. وبدون حيدة .. وبدون أى تأرجح في نهاية التلاوة عندما يقول «صدق الله العظيم» .

المذيع : من الناحية العلمية .. إذا جينا نعرف القراءات وارتباطها بالمقامات، هل هناك علاقة ما؟

الدكتور : هذا الموضوع يجب أن يبحث وهذا كان من بعض المشروعات المخططة على ورق لإنجازها من خلال دراسة تلاوة القرآن الكريم من صوت كبار القراء . وبمناسبة كبار القراء .. إن من الضرورى أن نعرف أن الشيخ رفعت من بين اثنين اللي كانوا بيشكلوا ظاهرة فنية خطيرة جداً.. ليس فقط في قراءة القرآن الكريم .. ولكن في الموسيقى العربية على مذهبها في الأداء الموسيقى في تلاوة القرآن الكريم .. كانوا بيكملوا بعض بحيث يكونوا ملامح الفترة اللي عاشوا فيها والتى لابد أن تدرس دراسة علمية تقنينية .. علشان الربط بين تسلسل المقامات في القراءة .. وأصول القراءات .. وتجويد القرآن الكريم .

أنا بقول هذا لأن أي كلام عفوى أو اجتهادى في مثل هذا الموضوع يكون على درجة من الخطورة .. لا تخدم الناحية العلمية أو الدينية بالنسبة لتلاوة القرآن الكريم ..

المذيع : ما مدى الاستفادة من صوت الشيخ محمد رفعت في بحث قياس السُّلم الموسيقى العربي ؟

الدكتور : الموسيقى العربية في حماية القرآن الكريم وهذا أمر مفروغ منه تماماً كاللغة العربية.. ومادام هناك قرآن كريم يقرأ بإذن الله .. فاللغة العربية في حصانة شديدة .. مثلها كمثل الموسيقى العربية وبالعكس وإذا كان هناك بحث في السلم الموسيقى العربى الذى يستمع إليه الناس ويطربون عندما يكون الأمر غناءً ويخشعون عندما يكون الأمر قراءةً فلا يمكن أن يستوفى البحث إلا إذا شمل صوت القراء كما يشمل صوت المغنيين .. وحاجة غريبة .. إن أحسن من غنى كان قد بدأ حياته في تلاوة القرآن الكريم (أم كلثوم والمنيلاوى) قمتان يزاملان الشيخ رفعت في قمة الأداء الموسيقى العربى . فمن الناحية الفنية .. إحنا بنأخذ تسجيلات - وبصرف النظر عن النص المنغم .. إحنا بنأخذ الأنغام ونقيسها ، وكان صوت الشيخ رفعت مطواعاً شديد الطواعية .. ليه؟.. لأنه كان سخياً في المدود .. عنده سخاء شديد في مدود الكلمات وكان صوته ثابت التردد

والذبذبة من أول حرف المد إلى آخره . لا يتأرجح مهما اختلفت الطبقة سواء كان من قرار صوته أو من جواباته العليا . ما سمعوش كل النطاق الصوتى الذى كان يتمتع به صوت الشيخ محمد رفعت للأسف .. وكنا نأمل أن يكون تحت أيدينا تسجيلات لحياته الأولى ..

من الحاجات اللى لاحظناها تأثير الشيخ رفعت فى ألحان المعاصرين له من الملحنين يعنى مثلاً هناك تقليد فى الأداء أن يكون فى مقام "الحجاز" أو من مقام «الراست» .

والشيخ رفعت .. كان جريئاً ، فيه هنا - فى الإذاعة - "أذان" من مقام السيكا .. فكان فيه فرصة نادرة إن احنا نقيس مقام السيكا من الأذان لنقارنها بمقومات المقامات الأخرى فى الآذان نفسه .. يعنى كان بيعطينا مواد قابلة للمقارنة ومع غير ما هو مألوف من مقامات التجويد أو التلاوة ..

المذيع : يعتبر صوت الشيخ رفعت أساس البحث فى السلم الموسيقى العربى ؟

الدكتور : بكل تأكيد .. مش هو بس وعدد كبير من المقرئين المسجلين على أسطوانات والمسجلين على شرائط فى الإذاعة - واللى إحنا كنا .. بنتتبعهم فى المساجد من بعض غير المشاهير من القراء اللى احنا نرى أنهم يجب أن يدخلوا فى مثل هذا البحث حتى تكون الصورة شاملة .. وما يكونش القياس متجه اتجاهاً إلى نوع معين - ولكن علشان تتوافر صفة التعميم .

المذيع : هل هناك معيار معين ؟

الدكتور : المعيار المعين هنا معيار آلى .. لأن الأذن البشرية لا تدخل فى تقييم الأصوات ، أصوات التجويد أو التلاوة أو الغناء .. المكَن هو اللى بيقول ، نحن لا ننظر بالعين ولا نستطيع أن نسمع بالأذن .. إنما الذى يقيس هذه الأصوات آلات إلكترونية ، والذى يقرأ قراءة رقمية أيضاً- عدادات إلكترونية - لعل العين تخطئ ، والمسائل دى بتدخل فى بروجرام فى الكمبيوتر، فى الآلة الحاسبة والآلة الحاسبة تصنف هذه الأرقام وتطلع هذه الإجابة ، وثبت من هذه الأرقام .. أن صوت الشيخ رفعت يحتوى على مكونات النغم الموسيقى العربى التطبيقى.. منضبطة أيضاً انضباطاً طبيعياً .. يصل واحد إلى مائة ألف من احتمال الخطأ المحتمل فى أى نغمة تصدر عن الشيخ رفعت .. واحد إلى مائة ألف .. وهذا لا يمكن لأى أذن بشرية أن تدركه أو تميزه فاحنا بنسميه حقيقة «الصوت الكامل» .

لقد اجتمع فى صوت الشيخ محمد رفعت كل مميزات الحنجرة العربية من الأنغام والأوتار الصوتية الخلاقة ، فضلاً عن استيعابه المذهل لمعانى القرآن الكريم وتمثيله إياها للناس كأنما يلمسونها بالأيدى ويرونها بالأعين فلا تحس فى نبرات صوته شيئاً من الخلخلة أو الخروج عن

مجرى النغم ، لكنك تجده دائماً متحكماً في صوته يبتدئ حيث يريد ويقف حيث يرغب فيهز وجدان السامع ويثير في نفسه كوامن الإيمان، لقد أثبت بترتيله الساحر موسيقية القرآن الكريم.

فشدوه الفريد في تسلسله وامتداده ، يريك من فنون البلاغة أعاجيب فيظهر لك انسجام الألفاظ وتآلف المعاني ، وقوة التصوير وروعة الإيمان في بساطة معجزة .

والواقع أن الشيخ رفعت لم يكن يفوقه قارئ للقرآن كان يقرأ من جميع النغمات والطبقات، وبالتدرج على الأصول المرعية في الأداء فكان يبدأ بـ : (البياتي فالحجاز ثم النهاوند ثم الراست ثم السيكا والرمل والجهاركاه ، وما إلى ذلك من إبداعات في ترتيل جميل وموسيقية رائعة .. وبهذا الأداء الرائع والصوت الرباني الجميل دفع بالكثيرين لأن يدرسوا الإسلام ..

والغريب أن الشيخ رفعت كان يغني القصائد في رخامة ساحرة فغنى قصيدة (أراك عصي الدمع - بحق أهواك يا من أنت عمري - وحقك أنت المنى والطلب) . وقد استمع إليه الناس في هذه القصائد وهم مذهولون وفي طرب بالغ من هذا الصوت الذي يجمع ما بين قراءة القرآن والمغنى .

وقد تحدث الشاعر كمال النجمي - تحت عنوان - (أعظم صوت أحيا ليالي رمضان) فقال:

أردت أن أكتب عن قراء القرآن الكريم - في شهر رمضان المبارك فوجدت أن الشيخ رفعت - أعظم القارئين جميعاً - موضوع مستقل فأفردت له هذه السطور المتواضعة التي لا تفي إلا بقليل من حقه كصوت عظيم ، وفنان عبقري وقارئ لم يعرف له فن التلاوة مثيلاً : يا سامعي القرآن الكريم ، أنصتوا ثم أنصتوا تفوزوا إن شاء الله بالثواب والمحبة والرحمة التي وعد الله بها عباده الصالحين السامعين المنصتين إلى كتابه العزيز .. مصداقاً لقوله تعالى : ﴿**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**﴾ .

بهذه العبارة أو بعبارة مثلها رفع شيخ مكفوف صغير السن صوته الجهوري وقد جلس باطمئنان وسعادة وحبور ، يترقب سماع الشيخ رفعت في مسجد فاضل باشا بدرب الجماميز قبل صلاة إحدى الجمع .

منذ أربعة وعشرين عاماً تقريباً ، كنت في ذلك الصباح الشتوي اللطيف من يوم الجمعة أرى الفنان العظيم الشيخ رفعت لأول مرة في حياتي ، وقد جئت القاهرة من قريتي في الصعيد منذ يومين فقط واستمعت إلى أم كلثوم في الليلة المنصرمة .. ليلة الجمعة - أو ليلة الخميس كما يسمونها - بمسرح حديقة الأزبكية تغني، حتى "ساعة الثانية صباحاً بروائعها القديمة التي كانت تملأ الأسماع في ذلك العهد ، كما تملأ روائعها الجديدة الأسماع الآن .

وفى صباح الجمعة صحوت مبكراً ولم يزل صوت أم كلثوم يخالط وجدانى فاتخذت طريقى مشياً على القدمين ، قروياً غريباً .. يسأل الناس : أين مسجد فاضل باشا ، ووصلت إليه بعد عشرات الأسئلة منى ، وعشرات الأجوبة من الناس ..

وجلست على مقربة من الشيخ رفعت ألتمس عنده زاداً جديداً للوجدان ، بعد الزاد الذى ظفرت به عند أم كلثوم ..

واعتدل الشيخ فى مجلسه وتنحنح فأصغى الناس إليه وأرهفوا الأسماع وكأنه إذ تنحنح هيأ القلوب للوجدان أو فتحها للطرب .. ثم انسابت النبرات الموسيقية الرقيقة الدافئة تمتد من حنجرته الوهاجة إلى الجالسين حوله ، امتداد أشعة الشمس إليهم فى رحاب المسجد ..

ولعلى فوجئت فى اللحظات الأولى بأن صوت الشيخ رفعت - بدون ميكرفون - لا يجلجل فيملأ الجو كما عهدناه ونحن نسمعه سنوات طوالا من خلال الراديو فى قريتنا بالصعيد ..

كنا فى قريتنا نسمعه فى الراديو مرتفعاً مدوياً ، تسمعه معنا .. القرى المجاورة ، ولكنه فى المسجد أشبه بالكمان الخافت .. ينصت السامعون إليه بانضباط شديد ، حتى لا تفوتهم منه همسة فإن همسة من ذلك الكمان الخافت العبقرى تساوى أضعاف وزنها ذهباً وطرباً أو وجداً أو نوراً تستضىء به الروح .

.. لكن خفوت صوته لم يكن يحجب عن السمع اتساع مساحته ، وكثرة درجاته الموسيقية أو (مقاماته) فإن صوت الشيخ رفعت من الأصوات النادرة التى يضيق حجمها وتتسع درجاتها الموسيقية حتى تتفوق باتساعها على أكبر الأصوات حجماً ولهذا لم يكن الميكرفون يزيف صوت الشيخ رفعت كان يوضح حجمه فقط ، أما درجاته الموسيقية المتعددة ، فهى هى لا تتغير بالميكرفون وبدونه فلم يكن بين صوته الحقيقى الطبيعى وصوته الميكرفونى إلا فارق الوضوح فى الأسماع حين تصغى إليه من بعيد ، كان صوتاً فذاً مكتمل الروعة تنطلق من حجمه الضيق درجاته الموسيقية المتعددة فتبلغ سماء الفن كما ينطلق الصاروخ من قاعدته الصغيرة فيبلغ الفضاء الأعلى..

والحق أنى لم أسمع طوال حياتى صوتاً ضيق الحجم خافتاً كصوت الشيخ رفعت ، يحتوى برغم ضيق حجمه وخفوته على ثمانى عشرة درجة موسيقية أو ثمانية عشر (مقاماً) موسيقياً سليماً.. ويمتد على قسمين كاملين من أقسام الأصوات الرجالية الثلاثة المعروفة عند الموسيقيين .. وله فوق هذا كله استعارة صوتية عجيبة تتألف وحدها من ثلاث درجات موسيقية ساحرة فما سمعنا مثلها حتى يومنا هذا ...

فاجتمعت بذلك لصوته العبقرى مساحة موسيقية هائلة تضم واحداً وعشرين مقاماً تقريباً منطوية فى ذلك الحجم الضيق كما تنطوى الطاقات الهائلة فى الذرة الصغيرة" .

بهذه المواهب الصوتية السماوية أبهر الشيخ رفعت معاصريه وملأ دنياه وشغل سامعيه .

وقد كتب عن صوته - رضى الله عنه - الكثيرون ، ووضع له الفنان السجينى (المثال المصرى) تمثالاً يمثل صوت الشيخ رفعت ، وكتب عنه الأستاذ محمود السعدنى فى كتابه «ألحان السماء» ، وكتب عنه أيضاً الأستاذ محمود الخولى فى كتابه «أصوات من نور» .

وفى السبعينات نال أحد الدارسين فى الأزهر الشريف* .. رسالة الماجستير عن «التأثير الصوتى للشيخ محمد رفعت» ، وجاء فيها «إن حنجرة الشيخ رفعت كانت تضم ١٨ مقاماً موسيقياً فى بداية الأربعينيات ، واستمع إليه آباؤنا فى العشرينيات والثلاثينيات وكانت تضم ٢١ مقاماً تشتمل الأقسام الثلاثة من الأصوات الرجالية وهى : (الباص - الباريتون - التينور) وتنطوى بترتيب عجيب فى ذلك الحجم الضيق فقد كان صوته - رحمه الله - خافتاً بعض الشىء ولا يتمتع بكافة نبراته إلا القريبون منه . فلما جاءت الإذاعة واستخدمت الميكرفون استطاعت هذه الأجهزة الحديثة أن توضح صوته وتصل إلى المسافات البعيدة دون أن تضيف إليه شيئاً .

وهناك ميزات أخرى تمتع بها الشيخ محمد رفعت فى أدائه الصوتى وهى التى أدركها صاحب رسالة الماجستير عن التأثير الصوتى للشيخ رفعت ، فمن مميزاته التى لم يجاره فيها أحد من المقرئين حتى الآن تلك المقدرة العجيبة على الانتقال من درجة موسيقية أولى (مقام) إلى أخرى فى سهولة وتناسق ، وبمقدرة محيرة .. بل ومعجزة فعلاً فهو يعلو وينخفض فى النبرة والدرجة واللحن دون أن تسمع نشازاً .. بل يملك منك الطرف ، والتواجد بكل مشاعرك ، كما أن وقفات الشيخ رفعت فى تلاوته مصبوغة بروح الخشوع والتمعن تحدث فى النفس هزة وموجات تأثيرية كتلك التى تحدثها الشوكة الرنانة فى الهواء والماء .

صاحب رسالة الماجستير أجرى تجربة عن صوت الشيخ رفعت قام بحمل جهاز تسجيل وعدداً من الأشرطة القرآنية المسجلة لعدد من المقرئين واتجه إلى أحد المقاهى ، حيث جلس الناس يشربون الشاى والقهوة والنارجيلة ويلعبون الدومينو والشطرنج ويعم الاسترخاء وتسود روح التسلية ثم قام بإذاعة الشرائط التى معه إلى أن جاء بشريط الشيخ رفعت فى النهاية ، فوجد عند تشغيله وإذاعته أن الناس تركوا أماكنهم وما فى أيديهم وراحوا ينصتون فى اهتمام وانجذاب وخشوع شديد . وكما كانت قراءة الشيخ خاشعة متدبرة ، وكان فى تلاوته يعى ما يقول ويعايش الآيات

* لم أتوصل لمعرفة اسمه .

بوجدانه ويصورها بأدائه الصوتى النادر ولم يكن هدفه من التلاوة سوى تذكير الناس واستحضار عقولهم وأفئدتهم لكلام الله تعالى .

وقد سأل الأستاذ محمد صفوت الحاج حسين محمد رفعت **وماذا يرى عشاق الشيخ رفعت فى صوته ؟**

يقولون : إنه صوت فريد فى نوعه حتى بالمقاييس الحديثة وكانت ساعة تلاوته يوم الجمعة والثلاثاء ساعة مقدسة عند ملايين المسلمين ، ومع ذلك لم تبطره النعمة بل زادته تواضعاً وخشوعاً، ذلك الخشوع الذى اتسمت به تلاوته للقرآن الكريم .. فكان يقرأ السبع قراءات وينتقل من أعلى مقام (درجة صوتية) إلى أوطى مقام فى سهولة ويسر ، ويتحكم فى نغمات عدة أسماها العامة (بالرهاوى) و(النكرير) و(العجم) . وكان يطوع هذه المساحة الموسيقية الهائلة لصوته للتلاوة وتصوير آيات الله تعالى .

ويقول الأستاذ محمد عبد الوهاب : «فى أوائل الثلاثينيات كان مستمعو الشيخ رفعت يكادون يفقدون عقولهم طرباً مما يأتى به فى تلاوته برغم خشوعه التام وقيام تلاوته على أدق أصول القراءة العربية كما اتفق عليها علماء التجويد ..

وقال لى أحد أساتذتى الذين علمونى مادة الدين واللغة العربية ، وهذا الأستاذ كان أزهرياً تخرج عام ١٩٢٩ : إن المصلين فى مسجد فاضل باشا كانوا يموجون بكلمة : الله .. الله فى ابتهال وحبور من أول المسجد لآخره .. وكانت تنتاب بعضهم حالات تشبه حالات الجنون فيقفز من مكانه ، بل إن هناك من كان يغمى عليه من الوجد والنشوة .

وقال المرحوم الأستاذ كامل الشناوى الذى كان يسكن بالسيدة زينب قريباً من مسجد فاضل باشا :

سمعت عن مقرئ شغل الناس يومئذ اسمه الشيخ محمد رفعت ، فتوجهت فى الساعة العاشرة صباحاً إلى المسجد يوم الجمعة ، فلم أجد مكاناً لأن المسجد كان مزدحماً لآخره .. فتوجهت فى الجمعة التالية فى الثامنة صباحاً رغم أن الصلاة تبدأ فى الثانية عشرة تقريباً فاستطعت الجلوس فى منتصف المسجد إلى أن ازدحم المسجد كعادته وكانت المرة الأولى التى أسمع فيها الشيخ رفعت ، كان صوتاً ناعماً دقيقاً رقيقاً فيه خشوع كبير ، ولم يحاول أن يعلو أو يرتفع ارتفاعاً مفتعلاً ومع ذلك فقد كان كل من بالمسجد يستمعون إليه فى انتباه كامل ، حتى لا يفوتهم حرف واحد أو نغمة واحدة . وأعتقد أن صوت الشيخ رفعت حفر فى قلبى الإيمان بنغمات جميلة جداً وظللت أتابعه فى المسجد إلى أن انتقلنا إلى جوار منزل الشيخ . فصرت أزوره فى منزله حيث

يقيم السهرات والاحتفالات الدينية التى يحضرها كبار الشخصيات ، وشاهدت هناك الشيخ على محمود لأول مرة ، وكان كفيفاً مثل الشيخ رفعت إلا أننى أحسست بالنور الذى يشع عن الشيخ رفعت والشيخ على محمود أيضاً وكنت أعرف أن الشيخ على محمود يستطيع الغناء بالإضافة إلى قراءة القرآن والتواشيح الدينية ، أما الشيخ رفعت ، فهو يتلو القرآن فقط . إلا أننى ذهبت وأنا جالس مع أولاد الشيخ رفعت - وكانوا زملائى فى المدرسة - فى حجرة مجاورة عندما سمعت الشيخ رفعت يغنى قصيدة الشريف الرضى - الشاعر العباسى - من تلحين الشيخ أبو العلا (وكانت تغنيها أم كلثوم) . فوجدت أن صوته عجيب جداً .. وكان يفصلنا عن بيته شارع واحد فعرفت أنا وزملائى موعد خروج الشيخ الجليل من بيته وموعد عودته والطريق الذى يسلكه وصرنا ننتظر أمام الباب حتى نسلم عليه ونرى هذا الملاك لأنه فى تكوينه الجسمانى به خفة الروح، ولأول مرة فى بيت الشيخ رفعت شاهدت الشاعرأحمد رامى .. شاعر الشباب وكذلك محمد عبد الوهاب ، وكان صغيراً وعشت فى جو الشيخ رفعت فى البيت والمسجد، وكان لنا صديق هو زكريا مهران - عضو مجلس الشيوخ - وكان من هواة صوت الشيخ رفعت . وعنده جهاز تسجيل يستخدمه فى تسجيل قراءاته ويدعونا إلى بيته فكنا نزوره لتمضية السهرة عنده لسماع هذه التسجيلات ولا أستطيع أن أصف روعة تلك الليالى ونحن نسمع الصوت السماوى، ومما آلمنى أن الإذاعة لم تستطع أن تسجل للشيخ رفعت وهو حى ربما لخلاف بينهما وعلى أى حال يمكننا القول بأن ما نسمعه من شرائط الشيخ رفعت ليس سوى إشارة الأصبع إلى وجود شيء عظيم لايتكرر .

وصدق المرحوم الأستاذ كامل الشناوى .. فقد كان صوت الشيخ رفعت يستحضر خشوع الناس ويثير وجدهم ويبعث فيهم الأمل بالمغفرة والرغبة فى الثواب ، والرهبة من العقاب ولأن قراءته كانت من قلبه ووجدانه قبل حنجرته ، فإن صوته كان يمس شغاف القلوب ويغمر حنايا النفوس ، ويحمل الناس إلى عالم علوى وروحانى طاهر .. كان يقرأ القرآن بحزن متمثلاً قول الرسول الكريم ﷺ: "**إن هذا القرآن نزل بحزن فاقرءوه بحزن**" .

وفى حلقة خاصة من برنامج «أهل الذكر» عن الشيخ رفعت أذاعتها صوت العرب فى الستينيات مع الأستاذ محمود السعدنى يقول فيها : "الأصوات كالوجوه بعضها فضة وبعضها له بريق الذهب.. ويندر جداً أن يكون الصوت من ذهب، ولكن من بين الأصوات التى نسمعها دائماً كان هناك صوت غريب فريد باهر وسر غرابته أنه استمد طبيعته من جذور الأرض وصفاء السماء فجاء مشحوناً بالأمل والألم مرتعشاً بالخوف والقلق عنيفاً عنف المعارك التى خاضها الشعب

عريضاً عرض الحياة التى تمناها، كان ذلك الصوت هو صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت.

وقال أيضاً : كان الشيخ محمد رفعت هو قيثارة السماء كان صوته أشبه بخلطة ربانية من مزامير داود وهديل الحمام وصوت الكروان الشارد فى سماء الله فى الليل الحزين .

وكانت خامة صوته من معدن نفيس قراراته ناعمة كالحرير وجواباته سليمة ومتقنة ومقتدرة وشامخة كأعلام فرقة من الجند فى طريقها إلى غزوة من الغزوات فى سبيل الله .

وكتب الأستاذ الدكتور مصطفى محمود تحت عنوان :"صوت يقرأ القرآن" وقال :

كلما جاء رمضان أتذكر صوتاً وحيداً كان يقرأ القرآن صوتاً ليس له أخ ولا مثيل ولا وارث ولا شبيه هو صوت الشيخ محمد رفعت ..

وصوت الشيخ رفعت هو الصوت الوحيد الذى يعطينى معنى الدين والتدين إنه صوت فيه أدب وخشوع ورهبة وانكسار ...

وهو ينكسر فى تواضع واسترحام وكأنه يرى الحضرة الإلـهية أمامه ، حتى حينما يرتفع ويرتفع نسمعه ينسلخ فى ألم ، وكأنه يعتذر عن رفع نبراته أمام خالقه ..

أبداً لم أسمعه مرة يلعلع بصوته فى زهو وتفاخر كما يلعلع باقى المشايخ ..

وما أكثر ما أسمع شيخاً يقرأ فكأنى أسمع من خلال لعلعته أنه يقول : أنا جدع . أنا صوتى حلو شوف يا رب أنا صوتى مليان إزاى .. ويكاد يقول من فرط زهوه .. سبحانى أنا .. لا سبحان الله..

أبداً لم يكن الشيخ رفعت يشعرنى بالقدرة .. بل بعدم القدرة ، بالعجز والضعف والتوسل لله.. وهى صفة انفرد بها صوته ومع ذلك فهو صوت عظيم قادر متمكن ، ولكن يا له من رجل رقيق مهذب يكاشفنا بهذه القدرة المذهلة فى تواضع فنان طيب القلب منكسر النفس مسلم مسالم مستسلم ..

أسمع اسمه فيخيل لى أنى أرى الجمال مقترناً بالحياء جمال يجهد صاحبه أن يخفيه حتى لا يجرح الناس .. وروعة يقدمها صاحبه بلا أبهة .. وسلطان بلا موكب .. وعظمة بلا رايات .. وإنها لَقِمَّةٌ حقيقية فى الأداء أن يعبر العظيم عن عظمته بهذه المذلة والانكسار ، وبهذا الشعور المتدين بأنه فى حضرة الأعظم ذى الجلال ..

والسر أننا أمام صوت ذى خلق .. صوت يشعر أنه بجماله مدين وليس دائناً .. إنه الموهوب الذى عليه أن يشكر الواهب كل يوم .

رحم الله أعظم الأصوات .. الشيخ محمد رفعت .

وتحت عنوان «مواقف» كتب الأستاذ أنيس منصور يقول : كثيراً ما أشتاق إلى سماع أحد يتكلم باللغة العربية الفصيحة بشرط أن يكون أسلوبه في الكلام سهلاً . أي أنه يتكلم كالذي يمشي خطوة رياضية أو عسكرية دون أن يبذل مجهوداً كبيراً في ذلك .. فأكثر الذين نستمع إليهم يتكلمون اللغة العامية المهذبة وهي لغة المثقفين ، وبعض الذين يحرصون على الكلام بالعربية هم أساتذة الدين والذين يشرحون الآيات القرآنية في الإذاعة والتليفزيون بعضهم يغريك أن تستمع إليه وأكثرهم يصدك عن ذلك مع أن الجميع يتحدثون لغة واحدة .. ولكن الفرق هو في سهولة العبارة وفي سهولة الأداء .

ومن الذين جعلوني أعشق اللغة العربية رجل مثل طه حسين . إنه متحضر العبارة ، جليل النطق ، سعيد بأنه يتكلم اللغة العربية ، وسعيد بأن يدعوك إلى أن تفعل مثله ، وهو لا يتكلم ؛ إنه يتغنى .

ورجل آخر هو الشيخ عبد الوهاب خلاف ، لم أكن من تلاميذه في كلية الحقوق ؛ ولكن سمعت عن علمه وفضله واستمعت إليه كثيراً يتحدث في القيم الأخلاقية والدينية وهو رجل واضح الإيمان والتقوى وإذا سمعت إليه ؛ لابد أن تصدقه لأنه صادق فيما يقول ولأن كلامه صدى نفسه وصورة أعماقه . وكانت الإذاعة تعيد بعض تسجيلاته الدينية وقد اسمعت إلى أحاديث كثيرة أذيعت مرات .. وفي كل مرة ازددت اقتناعاً بأن لغتنا جميلة وأن القادرين على أدائها قليلون ومن الممكن أن يكونوا ملايين إذا أردنا ذلك .

ورجل ثالث هو الشيخ محمد رفعت فليس مثل الشيخ محمد رفعت أحد من المقرئين في مصر أو في أي بلد آخر فلا يزال صوته عميقاً وأداؤه جليلاً فخماً وهو إذا قرأ جعلك تشعر بأن القرآن الكريم يجب أن نحمله على القلب والرأس لا أن نطير به كما يفعل القارئون الذين يقلدون المطربات والمطربين ولكنه كلام من نوع فريد ويجب أن نقدمه إلى الناس على أن يحمل هذه الأمانة وأن يؤديها - يرحمه الله .

ويقول الأستاذ أنور الجندي : الشيخ محمد رفعت صاحب الصوت الذهبي ، إنه أروع صورة للأداء وأروع خلق للعزوف عن اتخاذ قراءة القرآن وسيلة للكسب والفخفخة والاشتراطات التي ينوء بحملها الكثير ..

وسئل الشيخ محمد متولي الشعراوي ذات مرة في حوار تليفزيوني عن رأيه في كل من الشيوخ: محمود خليل الحصري ، عبد الباسط عبد الصمد ، مصطفى إسماعيل و الشيخ محمد رفعت فقال :

إن أردت أحكام التلاوة فهو الحصرى ، وإن أردت حلاوة الصوت فهو عبد الباسط عبد الصمد وإن أردت النفس الطويل مع العذوبة فهو مصطفى إسماعيل وإن أردت هؤلاء جميعاً فهو الشيخ محمد رفعت - رحمه الله - الذى فضله الله بهذا الصوت ، الصوت الذى تجسدت فيه كل معانى القرآن الكريم صوت يخرج من القلب ليصب فى قلوب المستمعين .

ويقول الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى : "إن الشيخ محمد رفعت أحسن من رتل بصوته آيات الله ، صوته جميل كامل من القرار وسليم من الجواب" .

ويقول الشيخ مصطفى الشامى : "إنه قوى ولصوته نبرات ينفرد بها عن غيره" .

وقال الشيخ منصور بدّار عندما سمع صوت الشيخ رفعت لأول مرة : "لقد شرفنى أكبر تشريف سماعى لذلك الصوت الذى أعتبره صوتاً من الجنة . لقد قرأت القرآن واستمعت إليه فى كافة الأقطار الإسلامية فلم أجد مثله على مدى ثلاثين سنة" .

وفى مجلة أكتوبر قال عنه رفيق دربه الشيخ على محمود : "إنه صوت ينطق بكلمات الله من أعماق القلب ويعطى لكل حرف فيها جلاله وكماله" .

ويقول الشيخ مصطفى إسماعيل : "الشيخ رفعت أستاذى عندما تستمع إليه تبدو وكأنك تعيش وتعايش تختلط وتمتزج بسور القرآن الكريم ، إنه ليس موهوباً كما يقول البعض ؛ بل إنه هبة من عند الله" .

ويقول أيضاً : "إنه أستاذ أستاذ أستاذ" .

ويقول الشيخ عبد الباسط عبد الصمد : "إن كلام الله يخرج نوراً فى قلب الشيخ رفعت ، فشاع هذا النور فيه وأشاعه فى مستمعيه" .

ويقول أيضاً : "إنه صاحب صوت شبابى ويظل شبابياً دائماً" .

وفى الجمهورية مايو ١٩٩٢ قال الشيخ «رزق خليل حبة» شيخ عموم المقارئ المصرية : "عندما سئل رسول الله ﷺ عن أحسن الناس صوتاً فى تلاوة القرآن قال : "**من إذا قرأ سمعته يقرأ حسبته يخشى الله**" . فالخشوع فى صوت الشيخ رفعت هو عصب تلاوته وسر تأثيرها فى القلوب ، وقال أيضاً : "**والذى ليس فى قلبه شىء من القرآن كالبيت الخرب**" . وقد كان الشيخ رفعت يقرأ القرآن لله تعالى وقلبه مفعم بالتقوى والإيمان .

وقال الشيخ «أحمد الرزيقى» قارئ السورة بمسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها : "كان الشيخ رفعت - رحمه الله - يمتاز بمقدرته على الإتيان بالأداء الموسيقى المعجز وإعطاء حروف القرآن الكريم حقوقها ، وصوته غير قابل للتكرار وأداؤه سهل ممتنع وهو صاحب مدرسة للأجيال على

امتداد القرون الآتية ، وأفيدكم بأن الشيخ ينتمي إلى محافظة سوهاج بصعيد مصر" .

وقال الشيخ أحمد نعينع - قارئ السورة بالمسجد الحسيني - : "صوت الشيخ رفعت شيء لا يمكن وصفه ، شيء لا يصدق ، والشيخ رفعت - عليه رحمة الله - كان عندما يقرأ تحضر الملائكة مجلس قراءته ، كان قارئاً في قمة الأداء القرآني السليم ، يرتفع صوته إلى جميع المقامات ولا شك أن التسجيلات المتوافرة حالياً لتلاوته لا تقارن بحال من الأحوال بتلاوته على الجمهور" .

ويقول الزعيم مكرم عبيد : "الشيخ محمد رفعت علمني القرآن الكريم .. فهو فاقد البصر نافذ البصيرة ، عذب اللسان رفيع البيان ويكفي أن بيانه هو القرآن الكريم بيان الله للناس أجمعين" .

وقال الشاعر فاروق جويدة : "الشيخ رفعت قارئ لا يتكرر وهو صاحب صوت جميل ومميز ، ويتمتع بطبقات غريبة الشكل ويكاد يكون المقرئ الوحيد الذي لا تخطئه الأذن على الإطلاق ، وصوته يتمتع بصدق التلاوة وهو عندي صدق الإحساس بمعنى أن الشيخ كان يشعر بكل آية يقرأها ، وإحساسه هذا في اعتقادي كان أخطر ما في صوته ، ذلك الصوت القادم من السماء - غير أرضي على حد تعبيري" .

وقال الكاتب الصحفي والإذاعي ضياء الدين بيبرس : "كان للخشوع في صوت الشيخ رفعت صدى عميق ؛ فكأنه يعيد اكتشاف الإسلام في صدر المسلم مرة أخرى ، ويفتح الباب على مصراعيه في صدر غير المسلم أو حتى من لا يعرف العربية .. ولِمَ لا وفي صوته «بحة» ذات شجن، وقبل البحة يتجسد الخشوع بمعنى أنك لا تشعر أنه يتلو بقدر ما تشعر أنه يسبح بحمد الله في كل آية يقرؤها .. وكان نفاذاً إلى قلب من يسمعه لأنه يقرأ من قلبه وليس من حنجرته .. وعندما يتلو الشيخ رفعت القرآن تشعر أنه يتيه به على العالمين" .

وكتب الأستاذ «أحمد شعبان» مدرس القراءات بالأزهر - الأهرام - تحت عنوان (من أعلام القرآن الشيخ محمد رفعت) يقول : "منحة من السماء وقبس من نور الذكر الحكيم يضيء القلوب ويهز الأفئدة فتخشع إلى ذكر الله في تدبر وإنصات لتلك المعجزة وما في آيات القرآن من إعجاز.. نفهم في ترتيله المعنى البلاغي وهو يصور آيات الله البينات ببراعة وإتقان وصدق في الأداء وخشية ورهبة وتقديس لكلام الله تعالى بطريقة فريدة في الإحساس تملأ وجدان السامع من فقه القرآن وفهم ألفاظه وما يخرج من القلب يصل إلى القلوب ، وبهذا كان يصب القرآن في قلب السامع صباً .. إنه المرحوم الشيخ محمد رفعت ، شيخ شيوخ القراء ، لقد عاش رفعت بحق على فقه لكتاب الله وتفسيره وعلم كبير بالقراءات وأروع ما يبدو في أدائه المتقن وترتيله المفصل ، التصوير في حركة الوقف إذا وقف أو في الوصل إذا وصل الكلام ، وأساليب التشويق والترغيب

للمعانى القرآنية وتلك هى الجوانب المضيئة فى صوت الشيخ رفعت وسر عظمته وتفوقه على قرنائه من أهل القراءة والترتيل" .

وقد تحير الفنان جمال السجينى فى كيفية التعبير عن صوت العملاق محمد رفعت ، إنه لا يريد أن يرسم له تمثالاً يصور جسده إنما هو يريد أن يجسد صوته فكيف يعبر عن ذلك ؟

وتلك هى المشكلة التى واجهت الفنان النحات السجينى وذلك عندما أحس بدوافع قوية للتعبير عن إعجابه .. بتلاوة الفنان الشيخ محمد رفعت فهو لا يريد أن ينحت تمثالاً للشيخ رفعت لأن إعجابه ليس بشكل الفنان ولكن بصوته ..

ومن هنا بدأ السجينى تمثالاً غير متقيد بشكل خاص سوى بالأشكال التى تصور العلاقات القائمة بينها خصائص هذا الصوت الخالد بكل ما فيه من أبعاد .. ثم أطلق على تمثاله اسم «صوت رفعت» وكأنه يقول للمتفرج .. ما تتعبش روحك .. لن تجد فى تمثالى شبهاً للمقرئ الفنان أو علاقة بملامح وجهه .

فصوت الشيخ رفعت يجسد فى نفس السجينى معانى العذاب والموت والحياة والفضيلة ..

يقول : إن الموضوعات التى تستحوذ على تفكيرى ، صوت الشيخ رفعت ، كلما استمعت إلى تلاوته سبحت فى عالم جديد ، وأحسست أن رفعت عبارة عن قبة كبيرة يجلجل فيها الصوت فيصطدم بزمامها العشق الملون ؛ ليتسرب بعد ذلك سابحاً فوق صحراء عريضة واسعة ●

وقفات الشيخ رفعت

وللشيخ محمد رفعت طريقة عظيمة فى الوقف على الكلمات ، إن دلت على شىء فإنما تدل على تمكنه من قراءة القرآن الكريم بدرجة قلما يحظاها قارئ ؛ فهو يقف أينما يريد ويبدأ أينما يحب دونما تكلف فى الوقف أو الوصل ومن وقفاته الرائعة المشوقة :

يقف فى سورة آل عمران على كلمة "**وطهرك**" من الآية الكريمة :﴿**وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك ..**﴾

ويأتى فى سورة هود ويقف على "**لولا**" من قوله تعالى :﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا ...**﴾

وفى نفس السورة يقف على كلمة "**أتنهانا**" من قوله تعالى : ﴿**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا ...**﴾

ويقف فى نفس السورة على كلمة "**نفعل**" من قوله تعالى : ﴿**قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنا أو أن نفعل ...**﴾

ويتجلى الشيخ محمد رفعت بتلاوته ووقفاته الرائعة فى سورة يوسف والتى لا يستطيع قارئ أن يطاوله فيها ، فيقف مثلاً على كلمة "**أتمها**" من الآية الكريمة ﴿**وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها ..**﴾

وأيضاً يقف على كلمة "**الجب**" من قوله تعالى ﴿**قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب ..**﴾

ويقف أيضاً على كلمة "**أرضاً**" من الآية ﴿**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً ..**﴾

ويقف على "**وإنّا**" من قوله تعالى ﴿**قالوا ياأبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنّا ..**﴾

وأيضاً على كلمة "**لتنبئنهم**" من الآية ﴿**فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم ...**﴾

ويقف على كلمة "**لامرأته**" فى الآية الكريمة ﴿**وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته ...**﴾

وفى سورة إبراهيم يقف الشيخ الجليل على كلمة "**يعبد**" من قوله تعالى ﴿**قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد ...**﴾

ويقف في سورة الحجر على كلمة "**عبادك**" من قوله تعالى **﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك ...﴾**

ويقف على كلمة "**ويبشر**" من قوله تعالى في سورة الإسراء **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر ...﴾**

وفي سورة النور يقف على كلمة "**يجده**" من الآية الكريمة **﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده ...﴾**

وفي سورة طه يقف على كلمة "**قدر**" من قوله تعالى **﴿فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ...﴾**

وفي سورة المزمل يقف على "**به**" من الآية الكريمة **﴿السماء منفطر به ...﴾**

ويقف على كلمة "ولقّاهم" من الآية الكريمة في سورة الإنسان **﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم ...﴾**

ويقف أيضاً على كلمة "**قدر**" من قوله تعالى في سورة المرسلات **﴿ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر ...﴾**

وكلها وقفات عظيمة تدل على أنه قارئ بصير ، يدعوك للاستمتاع بعظمة وجلال كلام الله، وكأنه يقول لك : اقرأ القرآن فهو كتاب قد يسره الله للعالمين ؛ للإنس والجن على اختلاف أجناسهم وألسنتهم ، وكأنه يقول لغير العربي : تعلم القرآن فهو كتاب سهل في تعلمه ، فالجاهل قد تعلمه وحفظه والأمي قرأه وحفظه ، وحتى الأعجمي تعلمه وحفظه ودرسه وصدق الله العظيم إذ يقول :**﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾** .

إن عظمة صوت الشيخ رفعت تتمثل في عدم تكلفه في التلاوة ، فالمتأمل لصوته يجد أنه يقرأ القرآن على "مُكْث" كما قال تعالى : **﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مُكْث ونزلناه تنزيلا﴾** ١٠٦ الإسراء ، يأخذ النفس الطويل ويستريح بين الآية وأختها ثم يستعد لتلاوة الآية اللاحقة ..

ولقد فرق علماء البلاغة العربية بين المطبوع والمصنوع ؛ فالمطبوع هو ما جاء من الطبع والفطرة، والمصنوع هو المتكلف المغالي فيه .

ومما لاشك فيه أن الشيخ محمد رفعت ، كان يقرأ القرآن بلا تصنع ولا تعسف ولا تكلف ولا مغالاة ، بل كان القرآن يخرج منه وكأنه جاء إلى هذه الدنيا ليقرأه على الناس ..

صوت فيه خشوع وحياء ورهبة وخوف من الله ، صوت يخرج من قلب القارئ فكان لابد أن يكون المصب قلب المستمع ..

صوت تعجب له كل من سمعه وقال : كيف كان الشيخ محمد رفعت يقرأ القرآن ؟!

صوت يفسر آيات الله أثناء القراءة ؛ أى أنه كان يقرأ القرآن الكريم مفسراً .

عندما يقرأ أحس كأن الجبال تهتز من آثار صوته .

وأخيراً أسأل نفسى بعد هذا المطاف سؤالاً وهو : هل أطرب الشيخ محمد رفعت الناس أم أنه أعياهم ؟

وأجيب فأقول : لقد أطرب الشيخ محمد رفعت مستمعيه البسطاء كالباعة والشحاذين والمداحين والندابين والجائلين (وأعيا الشيخ رفعت العلماء - علماء التجويد والقراءات - العلماء العالمين بأحكام تلاوة القرآن وعلومه المختلفة كالتفسير وغيره ، العلماء العالمين بالأصول المرعية عند قراءة القرآن .

وذلك لأن صوته يفوق كل ما تعارف عليه العلماء .. إنه الصوت الكامل ..

وأقول لكم : إن كل ما تعلمته فى حياتى من لغة عربية وعلوم إسلامية وحفظ وتجويد وقراءات للقرآن الكريم ، فى كفة ميزان وما سمعته من تسجيلات الشيخ رفعت المريضة فى كفة أخرى ، لقد تعلمت من صوته ما لم أتعلمه من الجامعة ولا من المعاهد الأخرى .

تلك كانت قصة الحنجرة الذهبية الخاشعة التى سحرت ملايين المسلمين كأن صوته من الجنة يضىء الوجدان ويحيى القلوب والضمائر ، احتبس صوته فى المسجد فتعطلت القيثارة السماوية إلى الأبد ●

كيف كان الشيخ رفعت
يطوع صوته حسب المشاهد القرآنية ؟

موهبة فطرية فذة وقدرة موسيقية عجيبة على تطويع الصوت حسب المشاهد القرآنية ، كان يضع قلبه فى معانى آياته وروحه فى حروف كلماته ..!!

وأهم ما يميز قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت استيعابه المذهل لمعانى القرآن الكريم وارتباط اللفظ بالمعنى ، بحيث كان يصور المعنى تصويراً يملأ شغاف قلب السامع وكان صوته يجمع بين الخشوع وقوة التأثير ويعرف مواضع الترهيب والزجر والتشويق والترغيب وكان يطوع صوته تبعاً للآية التى يتلوها ، فتارة تراه إعصاراً فى قوة وتارة أخرى يفيض عذوبة ورقة .

إن الشيخ رفعت فى صوته ما هو إلا آية من آيات الله فى خلقه كان على عكس البعض من القراء صوتهم يخرج من حناجرهم ، ولكن صوته كان يخرج من القلب فيلمس قلب المتلقى فيحدث به هدوءاً وطمأنينة .

ويتحدث الأستاذ محمد عبد الوهاب عن ذلك فيقول : (كان الشيخ رفعت يعرف مواضع الترهيب والزجر وأساليب التشويق والترغيب ، فيكون إعصاراً عنيفاً .. أو نسيماً رقيقاً .. ولم يكن الشيخ رفعت فناناً فى أدائه الصوتى وحسب ، بل كانت روح الفنان تغمر جوانب مضيئة من حياته ، كان يحب الموسيقى ويعشقها .. وقد دفعه هذا الحب إلى دراستها ، فقد تعلم قواعدها وأصولها على أيدى كبار الملحنين فى عصره .. وحفظ منهم عشرات من الأدوار والقصائد والتواشيح ، وتعلم العزف على العود .. كما كان يتلقى دروساً متواصلة فى التفسير - تفسير القرآن الكريم وفى علم القراءات بكل أعدادها .

ويقول الشيخ أبو العينين شعيشع : إنه لم يأت قبل الشيخ رفعت ولا بعده قارئ يرتل ترتيله.. لإيمانه بالله وخشوعه وإحساسه بالقراءة ..

والشيخ رفعت كما أرى «سمِّيع» بقدر ما هو قارئ مجيد .. وهو أيضاً - كما أرى - القرآن الذى يُسمع حقاً فقد كان يقرأ من جميع النغمات والطبقات وبالتدرج على الأصول المرعية فى الأداء ..

وقال المرحوم الأستاذ كامل الشناوى : "لقد بهر الشيخ محمد رفعت معاصريه وملأ دنياه وشغل الناس لأنه لم يكن فقط موهبة صوتية وإنما كان إنساناً مخصوصاً بتلاوة القرآن الكريم ،

كان كأنما وجد فى الدنيا ليتلوه على الناس ويرتله ترتيلاً متمثلاً آياته مصوراً معانيه مردداً ألفاظه فى أداء رائع من جديد ..

كان يضع قلبه فى معانى آياته وروحه فى حروف كلماته واعياً متدبراً ما يتلو وكان يعيش محكم آياته تعالى وينطبق عليه قول الله سبحانه : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ .

وقوله : ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾

فإذا تلا من آيات الثواب والرحمة استبشر صوته كأنه يستقبل نفحة من الجنة وإذا مر بآيات العذاب سرت فيه رجفة ورعدة كأنه يخشى حساباً عسيراً ..

إن جيل آبائنا عندما يسمع صوت الشيخ رفعت الآن من شرائطه وأسطواناته يعودون بذاكرتهم إلى سهرات الإذاعة المصرية فى رمضان فى الثلاثينيات والأربعينيات حين كان الشيخ رفعت يقرأ كل ليلة فيضىء الوجدان وتطمئن النفوس وتستريح الضمائر بعد نهار الصوم ، فاسم الشيخ رفعت ظل مرتبطاً بشهر رمضان يتذكرهما الناس معاً وينتظرونهما معاً كأنهما معنى واحد "شهر القرآن وخادم القرآن .."

ويقول الأستاذ كمال النجمى : كان حين التلاوة يضع قلبه فى معانى آياته وروحه فى حروف كلماته متدبراً ما يتلو تدبر المؤمن الورع كأنه يرفع أمام بصيرته فى كل وقت هذا السؤال القرآنى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ .

إذا تلا آية من آيات الثواب والرحمة ، رفع صوته عندها فرحاً مستبشراً كأنه يستقبل رائحة الجنة وإذا مر بآية من آيات العذاب والنقمة سرت فى صوته الرعدة والرجفة والخشية كأنه يخشى أن يختل توازنه فوق الصراط .

وكان صوته العجيب يمثل لسامع القرآن التوبة والدعاء والضراعة والتنزيه والتسبيح والندم والاستغفار .

كانت دموع قلبه تجرى في نبرات صوته .. فتلاوته حزينة باكية ، ووجدانه ممتلئ بهذه الآية ﴿إِذَا تُتْلَى عليهم آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وبُكِيًّا﴾ .

وباله مشغول فى كل لحظة بقول النبى ﷺ : "إنَّ هذا القُرآنَ نَزَلَ بحزن فاقرءوه بحزن" وكلما سمعت الآن - ونحن فى رمضان - تسجيلاً للشيخ رفعت تذكرت سهرات رمضان البعيدة التى كانت تضىء فى الإذاعة كل ليلة فى قلوب الناس بتلاوة القرآن .

كان صوته يحمل للمستمعين فى كل البلاد راحة الضمير واطمئنان النفس وحلاوة الثقة بعد نهار الصوم الطويل فى الصيف أو نهار الصوم القصير فى الشتاء .

وكان اسم الشيخ رفعت مرتبطاً بشهر رمضان يتذكرهما الناس معاً وينتظرونهما معاً كأنهما معنى واحد من معانى الإيمان وجمال الوجود ، وانقسم فكان مادة إنسان ومادة زمان .

وكان صوت الشيخ رفعت خاشعاً دامعاً حزيناً ، يستدر دموع السامعين ويستحضر خشوعهم وقد لبث - رحمه الله - يبكيهم ويرقق أفئدتهم لآيات الثواب والعقاب وقتاً طويلاً، حتى أبكاهم فى نهاية أمره على نفسه ، وأسال دموعهم على صوته ..

يتكلم أحد المتحدثين عن مقدار تفهم الشيخ رفعت لمعانى القرآن الكريم وحسن أدائه لمعانى الوعد والوعيد فيقول : ومن حُرمة القرآن أن يستعمل القارئ فهمه وذهنه حتى يعقل ما يخاطب به وأن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله ، وأن يقف على آية الوعيد فيستعيذ بالله منه .

وفى حلقات عن إمام المقرئين ، حلقة (٣) يتحدث الأستاذ محمد صفوت عن ذلك فيقول :

«يهزنا الشيخ محمد رفعت ويمس شغاف قلوبنا بترتيله لآيات الله وتصويره لها فإذا ما سمعته يقرأ فى سورة الفاتحة ﴿**الحَمدُ للَّه ربِّ العَالَمِين**﴾ (آية ٢) سمعت فى صوته نغمة الشكر والحمد على عطاء الله ونعمته ، وفى قراءته : ﴿**اهدِنَا الصِّراطَ المستَقِيمَ**﴾(آية ٦) تشعر بضراعته فى طلب الهداية.

وفى سورة البقرة عندما يقرأ ﴿**هو الَّذى خَلَقَ لَكُمْ مَا فى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ استَوَىٰ إِلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمٌ**﴾ (آية ٢٩) تشعر فى صوته الابتهال والخشية من قدرة الله وعظمته فى الخلق . وفى تلاوته للآية ﴿**إنَّ الَّذِيْن آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (آية ٦٢) نحس فى صوته الاستبشار بثواب الله للمؤمنين وفى نفس السورة عندما يقرأ: ﴿**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها**﴾ (آية ٦٩) نجده يعايش الآية فتصدر كلمة ما لونها ؟ بنغمة الاستفسار .

وفى آل عمران عندما يتلو الآية : ﴿**قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء**﴾ (آية ٤٠) تلمس فى صوته تعجب سيدنا زكريا عندما بشرته الملائكة بسيدنا يحيى ، لكنه أمل فى قدرة الله .

وفى سورة النساء .. نسمع فى قراءته للآية ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾ نغمة الإقرار بعدم قدرة الزوج على العدل الكامل بين الزوجتين ، ونرى صوته يعلو فى رجاء وحث فى قراءته للآية ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ .

فى سورة المائدة وفى نفس السورة يحمل صوته لعنة الله على اليهود فى قوله تعالى : ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا**﴾ . وعندما يتلو قوله سبحانه فى سورة الأنعام ﴿**ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون**﴾ ، يصور لنا لحظة الموت الرهيبة بالنسبة للكافرين الذين يلقون العذاب عند طلوع الروح وكراهية الملائكة لهذه الأرواح بسبب إعراضهم عن ذكر الله ، وفى نفس السورة ﴿**إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ، فالق الأصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ نسمع ترنيمة إلهية بقدرة الله على الحياة والموت والسيطرة على الزمن والنعمة التى أسبغها الله على عباده ، ونسمع نغمة التحذير فى صوت عال منبهاً إلى ما وصى به الله تعالى فى قوله ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**﴾ .

وفى سورة الأعراف نسمع نغمة الزجر عن ارتكاب الفواحش والتذكير بأجل الإنسان المحتوم فى ميعاده الدقيق وصوت الشيخ يجلجل فى رعدة وتحذير فى قراءة الآية : ﴿**قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ .

ثم نحس بنغمة الاستبشار وكأنه يستقبل نغمة من الجنة فى تلاوته لقوله تعالى فى سورة التوبة ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر . ذلك هو الفوز العظيم**﴾ .

ثم تهتز مشاعرنا بنغمة التذكير بآيات فى دورة الليل والنهار فى تلاوته لقوله عز وجل فى سورة يونس : ﴿**هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾ وفى نفس السورة نسمع من الشيخ رفعت صرخة التذكير بيوم الساعة التى لا يعلمها إلا الله عندما يتلو قوله سبحانه : ﴿**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**﴾ .

وفى سورة هود تعلو صوت الشيخ نغمة الرِضا والاستبشار والسعادة لما ينال المؤمنين من خير

فى الجنة إلى ما شاء الله وذلك فى تلاوته للآية ﴿**وأما الذين سُعِدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ..**﴾

وفى سورة يوسف نسمع نغمة الإشفاق الباكية التى صدرت من سيدنا يعقوب والخوف على ابنه الثانى بنيامين بعد أن فقد يوسف وذلك فى تلاوة الشيخ للآية : ﴿**قال لن أرسله**﴾. وفى نفس السورة نسمع من صوت الشيخ محاولة التبرئة على لسان إخوة يوسف من تهمة سرقة صواع الملك فى قراءته لقوله تعالى : ﴿**قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ، قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين**﴾ .

وفى سورة الرعد - وهى سورة تهز السامعين - نلمس الرعدة والخشية فى صوت الشيخ وهو يتلو كلام رب العالمين ﴿**ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال**﴾ .

ثم نسمع صرخة الشيخ الداعية إلى تغيير أنفسنا إلى ما هو أفضل وأنقى فى تلاوته للآية الكريمة ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ ، كما نلمس الضراعة فى الدعاء فى ترتيله لقوله تعالى : ﴿**رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾ سورة إبراهيم ..

ويصور لنا بصوته عصيان إبليس لأمر الله بالسجود لآدم وطرده من الجنة فى سورة الحجر فى تلاوته لقوله تعالى : ﴿**قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾ .

ثم ينتشى صوت الشيخ فرحاً واستبشاراً للمؤمنين الذين لم يستمعوا لغواية إبليس الذين أثابهم الله فى جنات النعيم ﴿**إن المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين**﴾ .

وفى سورة النحل تذكير بنعمة الله فى عسل النحل يصوره لنا صوت الشيخ لدى قراءته للآية : ﴿**يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون**﴾ .

وفى سورة الإسراء نغمة التذكير بالأمانة التى حملها الإنسان والمسئولية الملقاة على عاتقه تسمعها من الشيخ رفعت فى تلاوته لقوله تعالى : ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾ .

كما نسمع الدعوة الحارة إلى صالح العمل فى نفس السورة عندما يتلو قوله تعالى ﴿**ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا**﴾ .

وفى سورة الكهف يصور لنا صوت الشيخ رفعت طلوع الشمس وغروبها وهى تميل عن أهل الكهف فى قول ربنا سبحانه ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله**﴾ ويصور لنا صوته ذلك الرعب الذى يملأ من يشاهد أهل الكهف الذين ظلوا نياماً ويحسبهم المشاهد أيقاظاً وقد طالت لحاهم وامتدت أظافرهم وكأنهم أشباح من قرون خالية وذلك عندما يقرأ الشيخ .. قوله تعالى ﴿**وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً**﴾ .

وفى نفس السورة يصور بصوته هلع الكافرين عندما يتناول كل واحد منهم كتابه بشماله وقد أحصى كل ما عملوه فى دنياهم وذلك فى تلاوته للآية الكريمة : ﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً**﴾ كما يصور بصوته فى نفس السورة تعب سيدنا موسى وفتاه (ذى النون) فى مسيرتهما للقاء سيدنا الخضر عليه السلام عند التقاء البحرين وذلك فى تلاوته للآية الكريمة ﴿**فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ..**﴾

ثم نغمة الاعتذار من موسى لسيدنا الخضر عليهما السلام بسبب نفاد صبره فى الآية ﴿**قال لا تؤخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً فانطلقا**﴾ .

وبصوته العذب الملائكى فى سورة مريم يصور دهشة السيدة مريم لأن الله سيهبها غلاماً رغم عدم زواجها وذلك فى الآية : ﴿**قالت رب أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكن بغيا قال كذلك**﴾ .

كما يصور خوف سيدنا موسى وطمأنة الله له عندما تحولت العصا إلى حية فى قراءته لقوله تعالى من سورة طه ﴿**قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى**﴾ .

وفى سورة الحج يصور لنا بصوته تلك الصورة الفريدة ، فى قوله تعالى ﴿**ومَنْ يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق**﴾ وفى سورة النور تسمو نغمة الشيخ وكأنه يبتهل ويرقى إلى درجات علوية من الروحانية وهو يتلو قوله تعالى ﴿**الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم**﴾ .

وفى سورة الفرقان نسمع نغمة الندم حيث لا ينفع الندم ، من الظالم الذى يعض على يديه يوم القيامة عندما يتلو قوله تعالى **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولا﴾** .

ويمثل صوته نغمة القوة والبأس على لسان جنود بلقيس عندما جاءها كتاب النبى سليمان يدعوها للإيمان ويردون على فتواها بهذا الشأن فى الآية الكريمة من سورة النمل **﴿قالوا نحن أولوا قوة وألوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين﴾** .

وفى سورة الفتح يصور الشيخ بصوته كيف رفع الله الحرج عن الأعمى وعن الأعرج والمريض وأن الثواب جزاء المطيع مهما تكن حالته وذلك فى قوله سبحانه : **﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾** .

وفى سورة الطور يصور لنا الشيخ الفرح والاستبشار ، وهو يتلو قول ربنا العظيم : **﴿إن المتقين فى جنات ونعيم ، فاكهين بما آتهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين﴾** .

وفى سورة القمر يعلو صوت الشيخ ويرتفع ويهز السامع مصوراً الطوفان الذى نزل على قوم نوح لما كذبوا به عند تلاوته سبحانه **﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا .. فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾** ونسمع نفس الصرخة المهولة فى قراءته للآية التى تصور ما أصاب قوم عاد جزاء عنادهم وتكذيبهم لسيدنا هود وهى : **﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾** .

والآية التى تصور ما أصاب ثمود قوم صالح - لما عقروا ناقة نبيهم وتقول الآية : **﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر﴾** .

أما تلاوة الشيخ رحمه الله - لسورة الرحمن فهى تلاوة سامية نورانية ولا يدرك سموها إلا من سمعها . ويصور لنا صوته ما يحدث عند قيام الساعة فى تلاوته لقوله تعالى فى سورة الواقعة : **﴿إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجا ...﴾** إلى آخر تلك المعانى من رج الأرض ونسف الجبال .. إلخ .

ويتلو رحمه الله سورة الحديد فتلمس خشوعه لعزة الله وملكوته فى قراءته لكلام الله تعالى : **﴿سبح لله ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السماوات والأرض يحيى**

ويميت وهو على كل شىء قدير﴾ .

.. ونفس الخشوع فى سورة الحشر ، وأيضاً نغمة الوعيد للكفار واليهود والذين كفروا بالله ورسوله فأعد الله لهم العذاب فى الدنيا والآخرة : **﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب﴾** .

.. ونلمس نغمة التقرير لحدود الله التى رسمها فى الطلاق وذلك فى تلاوة الشيخ لقوله تعالى فى سورة الطلاق **﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ..﴾** ويملك الشيخ مشاعرنا فى تلاوته للحاقة وما يحدث للكفار من جزاء فتصبيب صوته رعدة شديدة ويهزنا بتلاوته : **﴿فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة ..﴾**

وفى سورة الجن : تصوير لإيمان الجن بالقرآن لما سمعوه يتلى على الناس قال تعالى : **﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا﴾** .

أما ترتيل الشيخ لسورة المزمل فهو ترتيل خاشع متبتل : **﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾** . وفى سورة القيامة يتلو الشيخ مصوراً هذا اليوم العظيم **﴿فإذا برق البصر وخسف القمر وجُمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر﴾** .

وتصور قراءته لسورة الإنسان حال المؤمنين وحال الكافرين فى قوله تعالى : **﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالاً وسعيراً إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾** ..

واستمع إلى تلاوته فى المرسلات والنبأ والنازعات والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والبروج والطارق والأعلى والغاشية والفجر والبلد والشمس والليل والضحى والشرح والعلق والقدر والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر والعصر والهمزة والفيل وقريش وهى تلاوة خاشعة باكية وكأنها ابتهالات ربانية فى محراب الإيمان ..

وكان المرحوم الشيخ مصطفى إسماعيل عندما يقابل حسين ابن الشيخ محمد رفعت يقول له : أهلاً بابن رئيس جمهوريتنا ، وهو يقصد بذلك زعامة التلاوة القرآنية ..

هكذا رأينا الموهبة الفطرية الفذة التى أودعها الله فى قلب الشيخ محمد رفعت - رحمة الله عليه - والقدرة الموسيقية العجيبة على تطويع الصوت حسب المشاهد القرآنية المختلفة ..

وسبحان الله هناك كثير من القراء الشبان الذين يقلدون المشايخ من ذوى الأصوات الحسنة،

فعلى سبيل المثال ، لقد استمعت إلى مقرئ شاب من ألمانيا يقلد الشيخ عبد الباسط عبد الصمد فى تلاوته تماماً بتمام ، وكان ذلك فى المنتدى الذى يقام طوال شهر رمضان بساحة مسجد سيدنا الحسين من كل عام ..

ولم نسمع عن أحد يقلد الشيخ رفعت لا فى طريقته فى التلاوة ولا فى صوته الجميل حتى بعد رحيله عن عالمنا بما يقرب من نصف قرن من الزمان .

رحم الله الشيخ محمد رفعت رحمة واسعة ●

نماذج ممن أسلموا على آثار صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت

لقد أسلم على آثار الصوت الملائكى صوت الشيخ محمد رفعت - رحمة الله عليه - الكثيرون ممن على غير ملة الإسلام ، وسمعت عن ذلك كثيراً من الناس ، وقرأت عن ذلك أيضاً ، ومما وقعت عليه يدى من تلك النماذج :

إنه مع بداية الحرب العالمية الثانية كان الشيخ محمد رفعت قد ذاع صيته فى أرجاء الدنيا ، وفى عام ١٩٤٠ دخل ضابط كندى على مدير الإذاعة الإنجليزى يطلب منه طلباً غريباً :

الضابط : سيدى مدير الإذاعة ، أنا (البريجاديرجون هنتر) من سلاح الطيران الأمريكى ، أريد رؤية الشيخ محمد رفعت!

المدير : - مقرئ القرآن تقصد !

الضابط : - نعم لقد سمعت صوته مصادفة ومن يومها وأنا أتتبعه حتى أصبح صوته من مستلزمات حياتى ، ومنذ ذلك الحين وأنا أقرأ كل الكتب التى كتبها المستشرقون عن الإسلام .

المدير : - أوه لعلك عثرت على أشياء مسلية لذيذة فى هذه الكتب ؟

الضابط : - بل لقد عثرت على شيء آخر يا سيدى المدير ، عثرت على الإيمان . أوه !! لقد أصبحت مسلماً ، وأريد رؤية الشيخ محمد رفعت ليبارك إسلامى ويختار الاسم الذى يناسبنى ..

هذه القصة تعطينا صورة عن مدى تأثير الشيخ محمد على مستمعيه من مسلمين وغير مسلمين .

وكتب سعد القاضى - أكتوبر - عن سائق الترماى الدانماركى يقول : "كان الشيخ رفعت يرتل آيات الله يوم الجمعة وكانت المواصلات تعطل فى ذلك اليوم .. ويضيق المسجد بالمصلين فيفترشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا إلى آيات القرآن الكريم .

كان سائق الترماى المتجه إلى حى درب الجماميز القريب من مسجد فاضل باشا كان سائق هذا الترماى من الدانمارك ويعمل فى شركة الترماى - كان يتعمد أن يوقف الترماى لينصت إلى صوت الشيخ وتكرر هذا منه أكثر من مرة حتى إن رؤساءه هددوه بالعقاب إذا تكرر منه ذلك -

إلا أنه كان يصمم على أن يوقف آلة الترماى ويستمع بكل جوارحه إلى صوت الشيخ وكذلك حتى لا يؤثر صوت الترماى على صوت الشيخ - ويقال إن هذا السائق أعلن إسلامه قبل وفاته بعام واحد .

وعائلة بأكملها أعلنت إسلامها - حضرت العائلة من لندن إلى القاهرة .

وكثيرون من أقباط مصر كانوا يستمعون للشيخ رفعت فى خشوع وجلال كما يستمع المستمعون إليه .

حتى إنه مع خلاف الشيخ رفعت مع الإذاعة تكاتف عدد من تجار القاهرة المسيحيين وهددوا بعدم دفع الضرائب إن لم تصالح الإذاعة الشيخ رفعت .

ويقول الأستاذ محمد صفوت فى حواره مع الأستاذ حسين محمد رفعت : سمعت من أحد زملائى المدرسين أن صديق والده كان مسيحياً وأسلم لدى سماع صوت الشيخ محمد رفعت ..

ويجيب الأستاذ حسين رفعت : نعم هناك من أسلم . فقد كان صوت الشيخ رفعت خاشعاً يصور آيات الله تصوير القارئ المتدبر المؤمن .

وقال الأستاذ محمد عبد الوهاب : إن الشيخ رفعت يقرأ القرآن وكأنه بين يدى الله تعالى .. ولجمال صوته وروعته فى الأداء وبراعته فى التعبير ، وفصاحته فى النطق ، فقد اعتنق الإسلام الكثيرون وبهذا الصوت السماوى الملائكى راح كثير من الناس يدرسون الإسلام ، ويتعلمون القرآن ويشهرون إسلامهم ...

وكتب الأستاذ أحمد شعبان - الأهرام - يقول :

"والشيخ رفعت لم يستقطب اهتمام المسلمين فى مصر وحسب ؛ وإنما استقطب قلوب المسلمين فى دنيا الإسلام رغم أنه لم يذهب خارج مصر أبداً .. كان المسلمون كلهم ينصتون وينتظرون تلاوته فى الوقت المحدد للإذاعة ولإذاعات العالم .. ولحلاوة صوته الربانى وأدائه الخاشع ، فقد اعتنق الإسلام بسببه الكثيرون وأشهرهم العائلة الإنجليزية التى حضرت من كندا إلى مصر لتقابل صاحب هذا الصوت النادر "معجزة القرن العشرين" .

وإلى اليوم وبعد رحيل الشيخ عن عالمنا بنصف قرن والناس يعجبون كيف كان الشيخ محمد رفعت يقرأ القرآن بهذه الروعة وهذا الجمال ؟ هذا مع كل ما فى تسجيلاته من ضعف ووشوشة وسوء فى التسجيل ، فما بالنا لو قدر الله له الحياة إلى اليوم أو لو قدر الله لعصره آلات تسجيل كالتى توجد فى عصرنا هذا ؟! ●

مآثره وأخلاقه

ويؤثر عن فضيلة الشيخ محمد رفعت الكثير والكثير من المآثر الحسنة الجميلة التى إن دلت على شىء ، فإنما تدل على أن هذا الصوت العظيم لم يأت من فراغ وإنما جاء من خشية الشيخ لله وتوقيره لآيات الله تعالى أشد توقير .

ومن ذلك : يروى أحد الصالحين من مريدى الشيخ محمد رفعت أنه دعى ذات يوم لإحياء ليلة مأتم وأراد أهل المتوفى تكريماً للشيخ ولحضوره أن يمنحوه فى نهاية الليلة جنيهاً من الذهب - بمقاييس عصره - وقد كان .. وذهب الشيخ إلى بيته ، وقبيل الفجر سمع طرقاً على الباب ففتح أهل منزله الباب وسأل الطارق عن الشيخ فجاءه الشيخ مستفسراً فقال الرجل : أنا الذى كنت عندهم بالأمس ، وقد أخطأنا عن غير قصد فأعطيناك مليماً لا جنيهاً من الذهب ، وهأنذا .. أرد لك الجنيه ، فما كان من الشيخ إلا أن طيب خاطره ، قائلاً له : هذا رزق ربى والحمد لله على ما رزقنى .

ويذكر الأستاذ حسين محمد رفعت أنه فى يوم من الأيام دق باب الشيخ فى حى البغالة - رجل قدم نفسه قائلاً أنا ياور المهراجا عثمان حيدر أباد ، وقال إن المهراجا يبلغه تحياته ويطلب منه أن يزور الهند للقراءة ويعطيه مائة جنيه عن كل ليلة ، فرد الشيخ رفعت قائلاً : أبلغ المهراجا تحيات العبد الضعيف إلى الله محمد رفعت ، وقل له إنه كان يود السفر لولا ضعف صحته خاصة مع حرارة الجو فى الهند . فظن الياور أن الشيخ رفعت غير راض عن المبلغ فظل يزيده حتى بلغ ٥٠٠ جنيه عن الليلة، فقال له الشيخ رفعت : إن المسألة ليست مسألة أجر لأن القرآن لا يباع ولا يشترى.

وهنا تدخل أحمد رفعت متناولاً الحديث مع أخيه حسين : إننى لا أنسى أن والدى فى صلاته كان يدعو الله أن يتوب عليه ويعفيه من أخذ أجر على تلاوة القرآن .

وكتب سعد القاضى عن نفس القصة فى - أكتوبر - فقال :

"عندما اعتقد مندوب حيدر أباد أن الشيخ رفعت يعتذر بسبب ضآلة المال المعروض عليه وكان ١٥ ألف جنيه عام ١٩٣٥ وجاء مندوب أباد وعرض عليه ٣٠ ألف جنيه إلا أن الشيخ رفعت قال: "أنا لا أجرى وراء المال مهما تضاعفت الألوف"

ويرفع المندوب المبلغ إلى ٤٠ ألف جنيه فيقول الشيخ لمندوب حيدر أباد : "أنا لا أبحث عن المال أبداً أبداً فإن الدنيا عرض زائل" ورفض الشيخ رفعت أن يسافر إلى الهند لأنه كان يكره أن

يجيئه الثراء عن طريق تلاوة القرآن ، فليت بعض قراء القرآن الكريم يقرءون هذه السطور .

ويلجأ المهراجا إلى وزارة الخارجية المصرية لتتوسط إلى الشيخ رفعت ليسافر إلى الهند .. إلا أنه يصر على الاعتذار وقال أنه مريض لا يتحمل متاعب السفر .

يا له من رجل ذى أخلاق عظيمة كأخلاق الأنبياء والمرسلين الذين بلغوا دعوة الله دون أن يسألوا الناس أجراً على عملهم فكل نبى قال لقومه : "ما أسئلكم عليه من أجر" .

رجل شرى الدنيا واشترى الآخرة وكان قادراً على أن يفعل عكس ذلك ويكون أغنى الأغنياء، لكن أخلاقه العالية أبت أن يبيع آيات الله البينات بعرض زائل أو ثمن قليل ، ونادراً ما تجد مثل هذه الأخلاق العظيمة .

إنها قيثارة سماوية حقاً جاءت من عند الله لتقول للناس : جئت من عند الله لأريكم آيات الله فى أسمى معانيها وأجمل صورها دون مقابل لأن كتاب الله لا يقدر بثمن ، وأن الدنيا وما عليها من متاع لا تعدل حرفاً واحداً من كلام العظيم رب العالمين .

ويؤثر عنه رضي الله عنه أنه أتاه أحد الفقراء يطلب منه أن يقرأ فى مأتم والدته المتوفاة ويرجوه أن يخفف عنه الأجر ، فقال له : سأقرأ بلا أجر . وأرسل إليه الكراسى لجلوس الحاضرين وفى نفس الليلة - قبل أن يقرأ - جاءه أحد البكوات يرجوه أن يقرأ نظير أجر كبير فرفض الشيخ نظراً لارتباطه بالقراءة فى دار الفقير ، وقلت له (الابن حسين) يا أبى كيف تترك الأجر لتقرأ بلا أجر؟ قال لى : وما يدريك أن يدعو لنا هذا الفقير دعوة طيبة مستجابة تكون خيراً من المال ؟ ..

وكتب سعد القاضى فى أكتوبر يقول : "ويذكرنى موقف الشيخ من أن أسرة كبيرة أرادت أن يحيى ليلة المأتم الشيخ رفعت نفسه ، وكان مشغولاً لمدة ثلاث ليال ، فما كان من الأسرة الكبيرة إلا أن أخرت إعلان الوفاة حتى يتفرغ القارئ !

لقد أجلت الأسرة دفن الجثة ٢٤ ساعة حتى توافق موعد القارئ ، رحمة الله عليك يا شيخ رفعت .. يوم أن ذهبت لتحيى ليلة مأتم فرّاش مسجد فاضل باشا رافضاً لمبلغ ١٠٠ جنيه ذهباً لإحياء ليلة مأتم شقيق مرتضى باشا غنام .

وقد حدث أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه فوجده مريضاً فى النزع الأخير وعند انصرافه التفت إليه صديقه وقال له وهو يمسك بيده فيضعها على كتف ابنته الطفلة الصغيرة :"ترى من سيتولى تربية هذه الطفلة الصغيرة التى ستصبح غداً يتيمة" ؟!

لم يتكلم الشيخ رفعت لأن قلبه كان يبكى وفى اليوم التالى كان يتلو القرآن فى أحد السرادقات سورة الضحى ، وعندما وصل إلى الآية الكريمة التى تقول : "فأما اليتيم فلا تقهر" ..

هنا توقف الشيخ عن التلاوة بعد أن ارتفع صوته بالبكاء والنحيب ويبكى كل من فى السرادق عندما يستمعون إلى البكاء مع قوله تعالى : "فأما اليتيم فلا تقهر" وتذرف الدموع من عيون كافة من بالسرادق .

الجدير بالذكر أن الشيخ محمد رفعت تولى تربية هذه اليتيمة وأصبح يجرى عليها مبلغاً من المال كل شهر حتى كبرت وتزوجت وجاءت بتوءم من الذكور فأطلقت على الأول اسم محمد وعلى الثانى اسم رفعت .

كانت حياته فى غاية البساطة والقناعة والرضا ؛ فلم يغير الشيخ بيته الذى عاش فيه حتى مات.. ولم يفكر فى استبدال سيارته بأخرى أحدث .. لأنه كان يستخدم رجليه وعصاه فى التنقل من بيته إلى مسجد الأمير فاضل باشا أو للأماكن التي يرتل فيها آيات الذكر الحكيم .

وكان يملك عصا ذات رأس مصنوع من الذهب الخالص .. جاءته هدية من حرم صديقه «يحيى باشا إبراهيم» أحد رؤساء الوزارة فى مصر فى أوائل العشرينات عندما ظل يقرأ على جثمانه طوال الليل .. فأهدته حرم الباشا هذه العصا إلا أنه كان لا يستعملها ويستعمل عصاه الخشبية الأقل من العادية" .

ومن مآثره العالية أن البرنس محمد على افتتح مسجداً - كلفه غالياً - بتلاوة من الشيخ رفعت، وبعث إليه بخمس جنيهات فرفض فظن أن المبلغ قليل فزاد له الأجر فرفض..

ويقول الأستاذ حسين محمد رفعت : "كان والداً باراً طيب القلب متواضعاً يخشى الله سبحانه وتعالى فى حركاته وسكناته وكنت أقرأ له من كتب السيرة والتفسير وكان يصحح لى الإعراب ومخارج الحروف ويندمج مع ما يسمع من عظات وأحاديث وتسيل دموعه .. "

ويقول الشيخ القوصى : "عاش الشيخ محمد رفعت فى بلده مصر لم يبرحها ولم يستجب للبلاد الكثيرة التى طلبته بإلحاح شديد ، فقد كان قانعاً ، ليس من همه جمع المال ، وكان عفيفاً يرفض ما يقدم إليه فى مرضه على سبيل الهدايا أو العون ..

ويروى الشيخ عتريس القوصى رئيس رابطة القراء العامة أن المقاهى والنوادى كانت تستعد لروادها مساء الاثنين والجمعة موعد إذاعة القرآن بصوت الشيخ رفعت ، فيزيدون من الكراسى لكثرة المستمعين ، ومع ذلك فإن كثيراً من الحاضرين كانوا لا يجدون أمكنة ، فيقفون فى عرض الشارع ليستمعوا إلى تلاوة الشيخ الفذ الذى تفوق على فحول القراء المعاصرين له مع أنهم كانوا كثرة ، ولهم مع ذلك قدرة وشهرة واسعة .

لقد عاش الشيخ محمد رفعت عمره فى الحياة عفيف النفس، ويروى أنه كان يقرأ القرآن فى

سرادق عابدين، ولما فرغ من قراءته وكانت عادة الملك فى ذلك الوقت إعطاء نفحة من النقود للقراء، وطلب الشيخ رفعت لذلك، فرفض فى إباء قائلاً : إنه يقرأ القرآن لله ولذلك فلا أجر عليه.

وكتب على عبد الهادى فى مجلة الشباب مايو ١٩٧٨ تحت عنوان (سفير الإسلام عبر الأثير - أمير القراء محمد رفعت) :

"فى يوم الأربعاء ٢٨ أبريل ١٩٣٦ شيعت حكومة مصر جثمان الملك فؤاد الأول إلى مثواه الأخير فى مقابر الرفاعى وفى المساء أقامت مأتماً باذخاً لوفاته فى قصر عابدين ، ودعت لإحيائه أمير القراء الشيخ محمد رفعت وثلاثة معه آخرين من مشاهير القراء فى العالم الإسلامى وهم السادة : محمد السيفى وعلى محمود وعبد الفتاح الشعشاعى ، وفجأة يتخلف الشيخ محمد رفعت عن إحياء مأتم الملك !

ماذا حدث ؟

فى نفس الموعد - علم سادن القرآن (خادم القرآن) أن جارة له فقيرة قد توفيت وأن الفقراء فى حى البغالة شيعوا جثمانها وأن الفقر - وحده - قد حال دون العزاء عنها ، فتوجه الشيخ محمد رفعت إلى دار الفقيرة جارته ، ومن ماله الخاص أقام سرادقاً أضاءه هو وأناره بتلاوات من القرآن شدت إلى السرادق أهل الحى وألفت منهم مظاهرة من الفقراء تدعو وتنادى بالتراحم الاجتماعى الذى تبناه وتزعمه أمير القراء فى القرن العشرين" .

وكتب أبو بثينة على صفحات الكواكب يقول :

"ذات ليلة من عام ١٩٣٠ توفيت إحدى كريمات المرحوم حسن الملا عضو معهد الموسيقى ، وهى قرينة الأستاذ على راغب الذى كان وكيلاً لقسم الكيمياء بوزارة الزراعة .

وجاء كبار القراء إلى سرادق المأتم مجاملة لأبيها . وفى تلك الليلة تبارى هؤلاء المشاهير حتى امتلأ السرادق والشوارع المحيطة به بجماهير المستمعين ، فلما جاء دور الشيخ رفعت فى التلاوة ، فتح الله عليه وأخذ يتدرج فى الإبداع حتى خرجت الجماهير عن طورها وأخذت تتصايح بصوت عال ، كاد يفقد المناسبة وقارها "الله .. الله.." وعندئذ انفعل قرين المتوفاة وصاح فى الجمهور "ياناس دا حرام .. دا ميتم مش فرح .. كفاية كده يا شيخ رفعت" .

وسكت الشيخ وساد الصمت فترة .. قرأ بعدها الشيخ رفعت بعد أن انتقل من النغمة التى كان يتلو بها إلى نغمة أخرى فيها نبرة الحزن والأسى" .

ويقول الأستاذ محمد صفوت : "فى أحد الأيام من عام ١٩٤٩م دق مصور صحفى باب أحد البيوت العتيقة فى حى (البغالة) بالدرب الأحمر بالقاهرة وقال : هل هذا هو بيت الشيخ محمد

رفعت ؟ فقال له أبناؤه : نعم - تفضل ، ودخل الرجل وسلم عليه الشيخ الكريم فى ضعف ظاهر، ونظر إليه المصور فوجده رجلاً نحيف الجسم رقيق العود فيه سمرة أهل النيل المحببة ، وعلى وجهه - رغم مرضه واحتجابه عن الآلاف المؤلفة من المعجبين - تظهر هالة من الوقار والجلال وكأنه روح سمحة مؤمنة خاشعة راضية بقضاء الله .

وطلب منه المصور أن يلتقط له صورة فأجابه الشيخ الوقور إلى طلبه وجلس على سريره شاحب الوجه مرتدياً الطاقية البيضاء والجلباب ...

ظهرت الصورة فى مجلة (المصور) القاهرية - ولا تزال موجودة فى أرشيف المجلة - فكان لها رد فعل عريض فى أنحاء المملكة المصرية ، (قبل الثورة بحوالى ثلاث سنوات) وتقاطر الناس فرادى وجماعات لرؤية الشيخ الجليل العليل الذى سحرهم بصوته الباكى الخاشع على مدى جيلين من الزمان ، وهز وجدان المسلمين فى كافة أقطار الأرض بتلك الحنجرة الذهبية التى يضن الزمان بمثلها .. عبر الأجيال الطويلة والتى كان يتلو بها آيات الله فى خشوع لا اصطناع فيه فيمتد فيها نور الإيمان فيستضىء الوجدان وتنتشى النفوس وتسحر الألباب .."

ودعا المسؤولون بوزارة الأوقاف ، كما دعا أهل الخير ومحبوا الشيخ رفعت إلى حملة قومية لجمع التبرعات للشيخ الجليل فى مرضه إلا أن الرجل رد التبرعات شاكراً ، مكتفياً .. بقناعة نفسه وزهده ، ضارباً أروع الأمثال فى التضحية بمتاع الدنيا القليل ، أما الأموال التى جاءت من فاعل خير ، أى الأشخاص الذين لم يذكروا أسماءهم وعناوينهم فقد تسلمتها الوزارة ووزعتها على الفقراء والمساكين ولم ينل منها الشيخ شيئاً لا هو ولا أولاده .

وكان من عادة مجلة المصور أن تخصص ميدالية للشخصيات الكبيرة التى يعم خيرها الناس ، وتقدم لهم ما يصلح أمور دينهم ودنياهم فخصصت ميدالية للشيخ محمد رفعت ووضعت صورتها فى صفحة كاملة ١٥ سم تحتها كلمة بقلم الكاتب المعروف فكرى أباظة يقول فيها :

"سيد المقرئين وإمام المرتلين والمجودين .. وفلتة من الفلتات التى يضن بها الزمن ولا يجود بها إلا على كره منه .. ومرة واحدة فى كل جيل ، وربما فى كل بضعة أجيال .. حنجرة ذهبية ، أطلق منها الرحمن صوتاً كنسمات الفجر أو دعاء الكروان .. فتسلل الصوت الجميل إلى القلوب فأسرها وإذا هى تجمع على حب صاحبه كما لم تجمع على حب إنسان من قبل .

حمل القرآن فكان خير من رتله فأحسسنا الرهبة عند الزجر والطاعة عند الأمر والخشية عند الوعيد والهلع عند التهديد .. والعطف والإحسان عند رحمة الرحمن .. والأمل عند التوبة والغفران ..

جمله الله بالتقوى، فلم تبطره النعمة، أو ينفخ فيه شيطان الغرور.. بل خرج من الميدان فقيراً.. أفقر من كثيرين ممن لا يطاولونه قدرة ولا يدركونه مقاماً .. ولكنه أحيط بسياج من حب الناس وعفة النفس ملأ قلبه إيماناً وإثراء .. وعزاءً !

ما كاد الناس يسمعون أنه مريض حتى أهاجهم الخبر .. وإذا هم يرقدون على أبوابه صباح مساء .. سائلين مستفسرين متبرعين له بالقليل وبالكثير .. ولكن الشيخ القنوع شكر لمحبيه عطفهم ورد لهم - شاكراً - ما أعطوه .. فضرب للناس أروع الأمثال فى أن القناعة كنز لا يفنى .. وأن حسبه فضل الله .. وهو عظيم ..

فليتقبل شيخنا هذه (الميدالية) رمزاً أدبياً معنوياً للتاريخ وللتكريم وهى جديرة بأن تتزين بالرجل الكريم .. "

وكأنه يذكرنا بالنبى أيوب - عليه السلام - عندما أصابه المرض والبلاء فى ماله وولده وجسده، وكانت امرأة أيوب تقول : ادع الله فيشفيك فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحاً ، فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة - وقد قال النبى ﷺ : **"أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل"** وفى الحديث الآخر : **"يبتلى الرجل على قدر دينه ، فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه"** .

ولقد جملت هذا الشيخ الجليل ، صفات ذات أخلاق عالية .. كان شديد الحساسية من أى شيء كثير الإحسان وكان يردد : «كيف تذل نفس وهى عزيزة بكتاب الله» وقد سهر ليلة عند أحد الباشوات فى بنها .. وأغضبه الباشا ، فرفض أن يأخذ أجراً ، وسار من بنها إلى القاهرة هو وابنه الكبير على أقدامهما ، مخافة أن يقترض من أحد أجرة السفر فقام من بنها فى منتصف الليل ، ووصل القاهرة ظهر اليوم التالى .

يقول عنه الإمام المراغى ، وكان شيخاً للأزهر واصفاً الشيخ رفعت : إنه منحة من الأقدار حين تهادن وتجود بل وتكريم لنوعنا الإنسانى . فهو خير من رتل القرآن وخير من تلاه فى القرن العشرين وإلى أن يشاء الله ..

وما قاله الشيخ المراغى حق ، فقد كان الشيخ رفعت خصب الروح صبيح الوجه وكان حديثه العادى همساً مرتلاً ، وصوته معجزة .

ويقول الشيخ عبد الباسط عبد الصمد: «إن الشيخ محمد رفعت عالم وحده، الإنسان عندما يسمعه، يقشعر من تلاوته البدن، إنه شيخ اتقى الله فى قراءة القرآن ونسى الدنيا وما فيها والإنسان طالما قرأ القرآن من قلبه وصل إلى قلب المستمع فكان له التأثير الكبير.. وكان هذا هو الشيخ رفعت .

وتتحدث نجوى فؤاد - الجمهورية - تحت عنوان "معركة الأستاذ الشيخ رفعت" فتقول :

"ترتبط الأذن بصوت الشيخ محمد رفعت عبر الإذاعة والتليفزيون بنغمات شهر رمضان المبارك ، فصوته العذب يصدح كأنه نغمة إلهية أو صوت انبعث من الجنة يحيى فينا كل مشاعر التقوى والتقرب إلى الله .

ويقترن صوت الشيخ محمد رفعت بالشهر الكريم حيث يتردد صوته الساطع دائماً خلال أيامه ولياليه منذ بدأت تذيع له الإذاعة المصرية وحتى الآن .

والشيخ رفعت ذاع صيته فى الثلاثينيات وحقق مكانة كبيرة مما حدا بالإذاعة أن تشفع اسمه بلقب "أستاذ" ، وكان لهذه الخطوة صداها الكبير فى نفوس المستمعين الذين أحبوا صوت الشيخ محمد رفعت ، ولكن كان لها صداها السيئ أيضاً فى نفوس بعض الزملاء - زملاء الشيخ من المقرئين الذين استكثروا عليه الحصول على لقب أستاذ بينما هم لا يتمتعون بهذا اللقب - فما كان منهم كما ذكرت مجلة آخر ساعة - المصور - فى عدد ٣ يولية ١٩٣٨ إلا أن يعقدوا الاجتماعات والمداولات ويخرجوا بعدها بشكوى «طولها متران وعرضها متر» وفيها يتذمرون من تفضيل الشيخ رفعت عليهم فى كل شىء حتى إن المحطة تضن عليهم بكلمة أستاذ فى حين أن الشيخ رفعت وهو مقرئ مثلهم يتمتع بهذا اللقب الذى يخرج من شفاه المذيع جميلاً كقبلة الحسناء .

ماذا فعل الشيخ رفعت إزاء هذا الموقف ؟ لقد كان موقفه صافياً خالصاً كصوته ، فبادر برجاء رجال المحطة "أن يذكروا اسمه خالياً من كلمة أستاذ التى قام لها المشايخ وقعدوا .." .

كما ذكرت المجلة واستطردت قائلة للمقرئين الثائرين : "إن المسألة ليست مسألة قراءة والسلام، بل إن للصوت الجميل والأداء الحسن والنطق السليم السبب فى تفضيل مقرئ على مقرئ وكله عند العرب صابون إلا فى هذا يا مشايخ" .

يا له من رجل عظيم رقيق الأخلاق مؤدب مع الله ومع الناس حساس يحس بالآخرين قبل نفسه ، متواضع ، فيتواضع لمن هم دونه مع أنه العظيم الجميل ، ودائماً يظهر العظيم بالعجز ، ويظهر العاجز بالفضل والحسن ، وقد أصاب أبو العلاء حين قال :

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشياً تجاهلت حتى ظُنَّ أنى جاهل

فوا عجباً كم يدعى الفضل ناقص ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل

ويتحدث الشيخ محمد رفعت عن مصر وقراء القرآن الكريم فيقول : "إنه منذ دخل الإسلام مصر ومصر هى درة البلاد الإسلامية وسيفها المتين .. وهى كنانة الله فى أرضه ، ومن أرادها بسوء قصمه الله . وفى هذا يقول الرسول الكريم ﷺ **"استوصوا بأهل مصر خيراً .."** ، ولا يوجد بلد

ذكره الله فى القـران فى أكثر من موضع كـما ذكرت مصر فـحيث ذكر مكة والمدينة ذكـرت مصر دون غيرها من بلاد الله .." .

ويقول أيضاً : "لا أحد ينكر أن مصر وفـد إليها الرسل من أولى العزم بدءاً بموسى عليه السلام الذى ولد على أرضها ومن قـبله النبى يوسف - عليه السلام - الذى عمل وزيـراً للخزانة المصرية فى عهد أحد الفراعين والذى استدعى إخوته وأبـاه يعقوب ، حيث عاش الجميع على أرض مصر آمنين سالمين يشـربون من نيلها العظيم ويستظلون بسمـاحة أهلها ثم جاء المسـيح - عليه السلام - وأيضاً جده إبراهـيم - عليه السلام - كما تـزوج إبراهيم من مصرية ، ورسولنا مـحمد ﷺ كانت إحدى زوجاته مصرية .

ولسبب ما لا يعرفه أحد فإن شعب مـصر مجبول على التدين الشديد منذ آلاف السنين ، وهذا ما جعلنا نحن قراء القرآن الكريم ننعم بالحب والتـقدير ؛ لأننا نعيش مع شعب متدين ينصت بكل جوارحه إلى كلمات الله عندما تقال منى أو من غيـرى .. ويقول الشيخ محمد رفعت عن السبب فى أن مصراً اشتهرت بأعلام القارئين ؟

"لقد تميزت بلادى بنـوع غريب من المسلمين الذين أتقنوا حفظ القـرآن الكريم وتجويده وترتيله .. ويكفى أن الإمام ابن تيمية يقول : "إن جملة حـفظة القرآن فى بلاد المسلمين منهم فقط فى مصر ثلاثة أرباع حفـاظ القرآن فى العـالم الإسلامى كله .. وأنت لو تجـولت فى قرى وريف مـصر من أقصاها إلى أقـصاها فسوف تجـد العجب العجاب ؛ سـتجد صبـياناً لا يتجاوز عمـر الواحد منهم السنوات العشـر وتجده حافظاً لـكتاب الله حفظاً جـيداً يتسـاوى ويتسامى مع أكـبر حفـاظ القرآن الكريم فى مكة والمدينة وغيرها من بلاد المسلمين" .

وكتب على عـبد الهادى فى مـجلة الشباب تحت عنوان سفير الإسلام عـبر الأثير أميـر القراء محمد رفعت فقال :

"الشيخ محمد رفعت يتحدث بنفسه وعن نفسه فيقول :

* "الله معنا .. فلماذا نتعب أنفسنا فى البحث عن الله ؟
* الحياء فى القول أولاً .. ثم الحياء فى السلوك ..
* إذا كنت ملكاً من ملائكة الله فإن الأرض ليست لك موطناً .. إنما السماء لك هى الوطن .!
* فى رحـاب القرآن كـان مولـدى .. وفى ظلال القرآن كـانت نشـأتى .. وفى أضواء القـرآن سوف ألقى ربى .
* الخير بلسم الشرور .. والبر ترياق العداء .

* سادن القرآن لا يمكن - أبداً - أن يهادن أو أن يُدان .

* الحياة منيرة حقاً .. فالوافدون عليها غرباء .. وكذلك الراحلون عنها !

* الشرف عزاء لصاحبه عن الفراغ ؛ لأن الفراغ لا يمتص الشريف !

* قالوا : الوقت من ذهب .. ونقول : الوقت قد ذهب .

* المتدثرون بغير الله غرباء .. والمعتزون بغير الله أذلة .. واللائذون بغير الله فى قلق يبدأ ولا ينتهى .

ومما يؤثر عنه من أناشيد : أنه كان يردد هذا الموشح :

«يا رب قد عجز الطبيب فداونى ..

بدوائك الخافى عن الأبصار ..

أنت الذى قلت فى محكم التنزيل ...

أدعنى أستجب لكم ..

ودليلنا قد جاء فى القرآن

ثم الصلاة على النبى وآله ..

المصطفى المبعوث من عدنان ●

الشيخ رفعت والإذاعة المصرية

افتتحت محطة الإذاعة المصرية فى نهاية مايو من عام ١٩٣٤ ، وكان صوت الشيخ رفعت أول صوت أرسل من خلالها آيات الله البينات ..

واستمع إليه الناس وكأنه آت من السماء يحمل كلام الله ، واستمعوا إلى الخشوع فخشعوا .. استمعوا إلى صوت يفهم ما يردد ففهموا ..

وكتب محمد باهى - الأهرام المسائى - يقول : "وفى عام ١٩٣٤ وعندما ألغيت المحطات الأهلية فى مصر وأنشأت شركة ماركونى الإذاعة المصرية حاول سعيد باشا لطفى التعاقد مع الشيخ محمد رفعت ليتلو القرآن الكريم فى الإذاعة فرفض وألح عليه سعيد باشا فقال له : أمهلنى أسبوعين ، وذهب الشيخ رفعت إلى الشيخ السمالوطى أحد كبار العلماء فى ذلك الوقت ليستفتيه فأكد له الشيخ السمالوطى أن إذاعة القرآن الكريم فى الراديو ليست حراماً ولكن ضمير الشيخ رفعت لم يهدأ ، فذهب إلى شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت فأكد له أن إذاعة القرآن ليست حراماً فبدأ فى ترتيل القرآن من إذاعة القاهرة ، فكان أول من تلا القرآن الكريم وسمع صوته الملايين خلال الميكروفون فبدأ القراءة بسورة «الفتح» وظل يقرأ بعد ذلك القرآن مرتين فى الأسبوع فى مساء الثلاثاء والجمعة" .

وقد تم التعاقد مع الشيخ محمد رفعت للقراءة لمدة سنتين قابلة للتجديد ، وقد اعتبر بعض القراء فى ذلك الوقت أن قراءة القرآن بالإذاعة بدعة مضلة ، حتى حسم الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر وقتها الموقف بإصداره فتوى شرعية تفيد بأن قراءة القرآن بالإذاعة ليست محرمة أو مكروهة فانضم إلى الإذاعة بعد الشيخ رفعت الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى ، ثم الشيخ أبو العينين شعيشع ، ثم اتسعت الدائرة بعد ذلك فشملت عدداً كبيراً من القراء ، حتى أفردت الإذاعة المصرية بعد ذلك إذاعة خاصة للقرآن الكريم ، تطورت حتى شملت بجانب ترتيله كل علم يتصل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه .

وبدأ الشيخ رفعت إرسال الإذاعة اللاسلكية المصرية بصوته مرتلاً للقرآن لمصر وللدنيا كلها عبر الأثير فى٣١ مايو عام ١٩٣٤ وظل صوته فى تلك الفترة ينتظره الملايين لا فى مصر وحدها وإنما أيضاً من خلال الأقسام العربية فى إذاعات لندن - وباريس - وبرلين .

ولكن ما قصة دخوله الإذاعة ؟

يجيب الأستاذ حسين محمد رفعت ويقول : فى سنة ١٩٣٤ والشيخ رفعت فى الثانية والخمسين من عمره - أى بعد فوات عصره الذهبى - افتتح هو الإذاعة كمقرئ .. وكان يقرأ

القرآن على أجزاء متوالية وحده . وغيره من المقرئين يتناوبون ويكمل كل واحد منهم السور حيث يتوقف المقرئ السابق ، ولم يكن الشيخ رفعت يحب التسجيل فقد كان يخشى أن يمس الأسطوانة شخص غير طاهر بل إنه تردد فى الذهاب إلى الإذاعة أول مرة لأنه كان شديد الخشية على آيات الله تعالى .. فأقنعه زملاؤه القراء بأنه لا ضير فى ذلك وأن مسئولية الطهارة لا تقع عليه وإنما على حامل الأسطوانة وعلى المستمع ..

والذى خدم الشيخ رفعت وخدم القراء أيضاً أنه فى بداية إرسال الإذاعة المصرية فى ٣١ مايو سنة ١٩٣٤ كان الشيخ رفعت يتلو القرآن الكريم يومياً على الهواء مباشرة لمدة خمسين دقيقة فى كل وقت من أوقات الصلاة ، ونظراً للإرهاق الشديد الذى تعرض له من جراء ذلك فقد طلب أن يساعده بعض القراء من زملائه لكن الإذاعة طلبت إليه استجابة لرسائل المستمعين أن يقرأ بتسلسل من أول القرآن الكريم إلى آخره حتى يكون له مصحف مسجل .. غير أن تسجيل القرآن كله بصوت المرحوم الشيخ رفعت لم يتم واستمر الشيخ يقرأ على الهواء حتى مرض عام ١٩٤٠ وظل مريضاً وبعيداً عن الإذاعة حتى توفى ..

والغريب أن الشيخ رفعت - كما يقولون - عند افتتاح محطة فؤاد الأهلية للإذاعة رتل بصوته العذب الجميل آيات من القرآن الكريم ، وطلب منه الحاضرون يومئذ وبينهم الأستاذ أمين المهدى - وهو من يعرفه أرباب الفن والسهر - طلبوا من الشيخ رفعت أن يغنى بصوته فنزل على طلبهم مشترطاً ألا يذاع اسمه .. وغنى فى هذا اليوم (وحقك أنت المنى والطلب) واستمع إليه الناس فى طرب بالغ وهم لا يعرفون من المغنى بالطبع وقد وافق الشيخ رفعت على الغناء - على ما يقال - نزولاً على رغبة صديقه أمين المهدى- الذى كان يعشقه .

وشيء غريب ، وهو أن الشيخ محمد رفعت اشتهر شهرة واسعة ، شهرة بلغت أمريكا وبلاد الهند وبريطانيا ، هذا فى وقت لم تكن قد ظهرت فيه الإذاعات الموجودة الآن ، حتى إذاعة لندن الأولى فى الظهور ، على العلم أن معظم المقرئين اليوم ، لم نعرف عنهم شيئاً إلا من خلال ظهورهم على شاشات التليفزيون أو من خلال سماعنا لهم بالإذاعات المختلفة .

بل إن هناك الكثير من المقرئين اليوم يقرءون بالإذاعات المختلفة ، ومع ذلك لم ينالوا شهرة ولا عظمة ولا احتراماً من الملايين مثلما بلغ القارئ الضرير محمد رفعت ؛ لقد بلغ من عظمة وشهرة أن افتتن به الهنود وطلبه المهراجا واستدعاه لزيارة الهند والقراءة هناك بأثمان باهظة لا يصدقها عقل ، وبلغ من شهرة ومجد وعلو فى الحياة أن إذاعة لندن العظيمة استدعته لافتتاحها والقراءة بها بأغلى الأثمان ، وبلغ من الشهرة والسمو أن أسلم الكثيرون على يديه ، هذا فى وقت لم تكن قد انتشرت فيه الصحف والمجلات الدولية أو العالمية بالصورة التى هى عليها الآن ●

خلاف الشيخ رفعت مع الإذاعة

والسبب الحقيقى فى خلاف الشيخ محمد رفعت مع الإذاعة ، كما يقول الشيخ أبو العينين شعيشع أنه طالب الإذاعة بأجر مثل أم كلثوم ، لكن أرباب الإذاعة رفضوا وكنت حينما أذهب إلى بيت الشيخ رفعت أستفيد دائماً

وحلقة "أهل الذكر" عن الشيخ رفعت حلقة طريفة جداً وفيها مشهد تمثيلى عن خلاف الشيخ رفعت مع الإذاعة ، وجرى الحوار كالتالى :

الشيخ رفعت : اسمعوا .. أريد أن أقول لكم كلمتين إننى أحس أنكم تستغلوننى أسوأ استغلال ولهذا قررت ألا أقرأ فى الإذاعة من اليوم ..

مسئول الإذاعة : هذا غير معقول يا شيخ رفعت .

الشيخ رفعت : حاولت أن أتفاهم معكم كثيراً فلم أستطع ثم إنكم تعاملون المقرئين معاملة سيئة .. ولكى أعلن احتجاجى على هذه المعاملة قررت عدم القراءة فى الإذاعة من اليوم .. والسلام عليكم .

مسئول الإذاعة : أرجوك يا شيخ رفعت انتظر .. اجلس حتى نتفاهم .

المدير الإنجليزى : اتركه .. دعه يمشى .. مش عايز يقرأ .. على كيفه .. خلاص .. إيه يعنى .. دا مجرد واحد مقرئ .

ويدور حوار بين أبناء البلد عن احتجاب الشيخ رفعت وعدم قراءته فى الإذاعة ، وتمنى الكثيرون ألا يكون مريضاً لكن أحدهم يقول : إنه سمع بأنه (زعلان) مع الإذاعة ، فيرد البعض بأن هذه وسيلة نصب من الإذاعة لأنه ما اشترى الراديو إلا لسماع صوت الشيخ رفعت الجليل ويعلن البعض أنه سيعيد الراديو إلى المحل الذى اشتراه منه لأن الراديو بدون الشيخ رفعت لا يعتبر راديو .

ويقال : إن الشيخ رفعت اختلف مع الإذاعة لأنه رآها تعامل المقرئين بدرجة تقل عن معاملتها للمطربين والمطربات فشق هذا الاستغلال عليه فأعلن أنه لن يدخلها مرة أخرى .

وكان طه حسين ممن لم يعبأوا بترك الشيخ رفعت للإذاعة فلم يحاول استرضاءه وإعادته . وسخط الناس ، لانقطاع الشيخ رفعت عن القراءة ، وقالوا ما فائدة الراديو إذا لم نسمع تلاوة الشيخ رفعت .

وكان من الطريف أن الملك فاروق كان عنصراً من عناصر المحافظة على التراث الذى تبقى لدينا من الشيخ الجليل ؛ فقد كان يحب صوته ، وذات مرة سأل الملك الشيخ عبد الله عفيفى إمام مسجده بالسراى الملكى عن الشيخ رفعت فاتصل هذا بالإذاعة وطلب من عبد الحميد يونس - مدير الإذاعة - فى ذلك الوقت أن يعيد الشيخ رفعت بعد الانقطاع ، وعاد الشيخ رفعت إلى الإذاعة بأمر الملك فاروق ، وإلحاح محبيه ، وعادت الطمأنينة للنفوس وأصبح بيته ندوة وكعبة لكل أصحاب الفنون فى مصر .. القراء والكتاب والملحنين والمؤذنين والشعراء .. واستطاع أن يؤثر فيهم جميعاً .. وامتد تأثيره إلى شيخ الملحنين محمد عبد الوهاب .

ويقولون إن الشيخ رفعت حين اختلف مع الإذاعة للمرة الأولى وتوقف عن القراءة فيها تلقت الإذاعة آلاف البرقيات والخطابات التى تهدد بالامتناع عن دفع (ضريبة الراديو) .. ما لم يعد الشيخ رفعت إلى الميكروفون .

وحين أتعبته الإذاعة وتنكرت له وقاطعها استطاع الإمام المراغى أن يقنعه بالعودة واستأنف التلاوة فى الإذاعة يوم ٣ مارس ١٩٤٠م .

وكان يومها عيداً .. كان عيداً زفه إلى عشاق صوت الشيخ رفعت المرحوم الإذاعى الرائد عبد الوهاب يوسف .

ويقال : إن السبب فى خلافه مع الإذاعة هو طلبه مساواته مع زملائه المقرئين ، فلم يجب طلبه.. فكان امتناعه مما هز دنيا المسلمين شعوباً وحكاماً ، وإن خلافه الأخير مع الإذاعة عجل بمرضه العضال" .

ولن تنسى الإذاعات صوت الشيخ محمد رفعت ولن ينسى الناس صوته المسجل على تلك الأسطوانات الركيكة أو الشرائط المشوشة ، ومع ذلك فقد سحر الناس وأبهرهم فى كل زمان ومكان ، فما بالنا بصوته الحقيقى أيام شبابه ؟ رحم الله أعظم الأصوات وأخلدها - الشيخ محمد رفعت ●

الشيخ رفعت وتسجيل القرآن

ونتساءل كيف تمت التسجيلات التى نسمعها الآن بصوت المغفور له - الشيخ محمد رفعت فى وقت لم تكن فيه مسجلات ولا شرائط ولا ميكروفونات ، غير الأسطوانات التى كان يمتلكها الأغنياء من الباشوات فى مصر فى ذلك الوقت ؟

فى حوار إذاعى مع الأستاذ أحمد رفعت أجراه الأستاذ محمد صفوت ، يقول الأستاذ أحمد محمد رفعت :

"إن صاحب الفضل الأكبر فى حفظ تراث الشيخ رفعت هو زكريا مهران باشا - عضو مجلس الشيوخ المصرى السابق - وسيذكر له التاريخ هذا الفضل والله وحده هو الذى ألهمه أن يفرغ نفسه - رغم مشاكله الكثيرة - كى يقوم بتسجيل قراءات الشيخ رفعت من الراديو يومى الثلاثاء والجمعة ، فهو لم يقابل الشيخ رفعت ولم يتحدث إليه . وإنما كان مغرماً بسماع الشيخ رفعت ، وبدأ بتسجيل الأسطوانات وكانت لا تزيد مدة الأسطوانة عن دقيقتين و٤٥ ثانية ولك أن تدرك مدى الجهد الذى بذله هذا الرجل ، فقد كان يخشى أن تفوته آية من تلاوة الشيخ عندما يقلب الأسطوانة فأعد للتسجيل جهازين ..

هل لك أن تعطينا فكرة عن زكريا باشا مهران ؟

هو مليونير واقتصادى كبير ، وأنشأ مع طلعت حرب باشا بنك مصر وخلفه فى إدارته وكان من الأحرار الدستوريين وعضو مجلس الشيوخ وزوجته حفيدة على باشا مبارك وتوفى فجأة داخل المجلس .

وهو صاحب الفضل الأكبر فى حفظ تراث الشيخ رفعت ، مسجلاً من الراديو وهناك شخص آخر سجل له عدداً من الأسطوانات القيمة هو محمد بك خميس تاجر الجملة بين الصورين .

وكيف تم تجميع الأسطوانات ؟

لما مرض الشيخ رفعت وتوقف عن القراءة وسمع بذلك زكريا باشا مهران ، هرع إلى الإذاعة ومعه نموذج من تسجيلات الشيخ رفعت من سورة «طه» كعينة وأبلغ مدير الإذاعة أن بقية التسجيلات أو الأسطوانات لديه ، وهو على استعداد لتسليمها جميعاً إلى الإذاعة ، شريطة أن تدفع الإذاعة أجراً كمعاش للشيخ رفعت يساوى أجر السيدة أم كلثوم ، (وكانت أم كلثوم

تتلقى فى الليلة ٣٥ جنيهاً) .

وبدأت المفاوضات وطالت ، فقال لهم زكريا باشا مهران : إن الشيخ رفعت ، لم يصل إلى ما وصل إليه بالطرب وإنما وصل بالقرآن .. وكان على وشك أن يطلب من الدولة إعطاء الشيخ رفعت معاشاً استثنائياً أسوة (بالمتر رايد) عميد كلية فيكتوريا بالإسكندرية ، بعد انتهاء خدمته ، لكن للأسف توفى زكريا مهران فجأة داخل المجلس - مجلس الشيوخ - ولم تتحقق أمنيته .

وكيف حصلتم على الأسطوانات بعد وفاته ؟

قال حسين رفعت : استطعنا أن نثبت أحقيتنا فى امتلاكها قانوناً .. ولكن للأسف لم نجد الأسطوانات كلها بعد وفاة الرجل وتنازع الورثة وإنما وجدنا بعضها ، وفى يوم من الأيام توجهت إلى أرملة زكريا باشا مهران أنا وأخى واستأذنتها فى البحث عن أسطوانات قديمة عندما كانت على وشك الانتقال من البيت - فسمحت لنا - ودخلنا نعبث فى الأدراج هنا وهناك وفجأة سمعت أخى يقول : وجدتها وجدتها .. وبالفعل وجد عدداً كبيراً من الأسطوانات القديمة بصوت الشيخ رفعت ، لكن أين بقية المجموعة ؟ أين التراث الكامل الذى احتفظ به زكريا باشا مهران ؟ لقد ضاع ولا نعلم عنه شيئاً .

هل فقد مع الإهمال .. أم احتفظ به البعض لنفسه وكتم الحقيقة ؟

إننا لا ندرى .. إنها مأساة حقاً .. هذا التراث الذى لا يقدر بمال خسارة لنا .. بل للمسلمين جميعاً .

وكانت الإذاعة قد أعلنت عن مكافأة قدرها ١٠٠ جنيه لمن يجد أسطوانة للشيخ رفعت ، ولم نجد له وقتها سوى سورة الفتح وهذا هو المبلغ الوحيد الذى تلقيناه .

ويقول الحاج حسين رفعت : لو كان باستطاعتى الاتصال بالأرواح لإرشادى عن مكانها لفعلت .. لكن ما باليد حيلة .. يكفى أن أقول لك إننى حضرت أحد المزادات مرة ، فوجدت أسطوانات قديمة وكانت لأبى فأخذتها كالكنز الثمين .. وإننى أدعو كل من عنده أسطوانة قديمة للشيخ رفعت أن يرسلها إلينا أو إلى الإذاعة وأجره كبير عند الله .

هل سلمت تراث والدك العظيم للإذاعة ؟

نعم وطبعت صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات ٩٥ بالمائة من شرائطه .

من ساهم فى استكمال الأجزاء الناقصة أو الممسوحة من الأسطوانات ؟

الشيخ أبو العينين شعيشع والدكتور أحمد هيبة ويعمل بوزارة الزراعة ووفقنى الله فى النهاية إلى أن أعمل مونتاج من صوت الشيخ رفعت بنفسه أى استكمال الكلمات الناقصة فى

أحد الشرائط بنفس الكلمات إذا تكررت فى شرائط أخرى .. مثلما حدث فى الآية التى فى سورة يوسف "إن الشيطان للإنسان عدو مبين" .

لكن لماذا لا نجد للشيخ رفعت تسجيلات قرآنية كثيرة وبصوت نقى تماماً كغيره من المقرئين؟

لم يكن التسجيل بنفس السهولة الموجودة هذه الأيام ولم يكن عند الناس أجهزة تسجيل باستثناء قلة نادرة من الأغنياء ممن امتلكوا أجهزة تسجيل أسطوانات بل إن الراديو لم يكن واسع الانتشار ، فكان الناس يتجمعون حول هذه الأجهزة القليلة لسماع الشيخ رفعت كل يوم ثلاثاء وجمعة من الثامنة إلى الثامنة والنصف مساءً

ويقول آخر : إنه منذ وفاة الشيخ رفعت بدأت أسرته تجمع تسجيلاته التى توجد عند أسرة صديقه التاجر - محمد خميس - وأسرة زكريا باشا مهران ، كما حرصت الأسرة على أن تستفيد من التسجيلات الموجودة كلها وتدعم بعضها ببعض بتكملة الناقص منها ، وقدمت للإذاعة خمسة أشرطة فى عام ١٩٥٤ كما قدمت الأسرة لإذاعة الشرق الأوسط عند افتتاحها .. وحين بدأت إذاعة القرآن الكريم أهدت الأسرة ما بقى عندها دون مقابل .

ويدَّعى البعض قائلاً : إن أحد أبناء الشيخ رفعت - الابن الأكبر فى الغالب - هو الذى منع والده من تسجيل القران كاملاً بالإذاعة خشية أن يستغنوا بالأسطوانات المسجلة عن تلاوته الشخصية فيفقد بذلك أجره .

ويرد على هذا الادعاء ابنا الشيخ رفعت أحمد وحسين فى حوارهما مع الأستاذ محمد صفوت ، وينكر الرجلان إنكاراً شديداً هذا القول ويقول الأستاذ حسين محمد رفعت : سأحكى لك القصة بالتفصيل كما حدثت :

لقد كانت هناك نية لأن يقوم الشيخ رفعت بتسجيل عدد كبير من الأشرطة واتصل به (سعيد باشا لطفى) مدير الإذاعة والإذاعة البريطانية (بى - بى - سى) فى عام ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ وأوفدوا الشاعر الزجال «أبو بثينة» كوسيط للاتفاق مع الشيخ رفعت ، فكان الاتفاق من جانب الشيخ رفعت أن يسجل الشريط لقاء ١٠٠ جنيه كأجر لقراءة الشيخ ، ١٠٠ جنيه أخرى كأجر لاستخدام الشريط المسجل مع دفع ٥ جنيهات عن كل إعادة فى الإذاعة .

وكان مطلوباً منه تسجيل عشرة شرائط فيكون المبلغ : ٢٠٠×١٠=٢٠٠٠ ألفى جنيه مصرى، فأبلغ أبو بثينة سعيد باشا لطفى ورفاقه أجر الشيخ رفعت بطريقة خاطئة وبدلاً من أن يجمعوا ١٠٠ + ١٠٠ = ٢٠٠ ، إذا بهم يضربون : ١٠٠×١٠٠ = ١٠٠٠٠ عشرة آلاف جنيه تضرب فى عدد الأسطوانات .

وعلى أى حال أرسل الشيخ نموذجين من تسجيله كعينة إلى إذاعة (بى - بى - سى) على ظهر مركبين منفصلين ، ونظراً للتوتر الدولى فى بداية الحرب العالمية الثانية وكانت عن سورتى «مريم - وآل عمران» ومع كثرة المماحكة والمماطلة رفض الشيخ التسجيل ، وكتب أبو بثينة بعد ذلك هذه القصة فى مجلة (الكواكب) حسب روايته هو وطلب محمد - الابن الأكبر - للشيخ رفعت رفع دعوى على أبو بثينة فرفضت لأنى لا أحب الخصومة" .

اعتراف أبو بثينة كما ورد بمجلة الكواكب الصادرة فى يوم ٣١/ ٥/ ١٩٦٦ تحت عنوان - محمد رفعت - قال :

"وفى عام ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ على ما أذكر اختلف الشيخ محمد رفعت مع الإذاعة وانقطع عنها ؛ لأن المرحوم محمد سعيد لطفى باشا كان قد رفع أجر المرحوم الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى من ١٢ جنيهاً إلى ١٤ جنيهاً فى التلاوة الواحدة ، ولم يرفع أجر الشيخ محمد رفعت إلى نفس الرقم ، وظن سعيد لطفى أن الجمهور لن يهتم لانقطاع الشيخ رفعت ، ولكن الرسائل بدأت تنهال على الإذاعة مطالبة بعودة الشيخ محمد رفعت ، وكثير من هذه الرسائل كان من مواطنين مسيحيين وأقباط ممن كانوا يحرصون على سماع الشيخ رفعت وخاصة فى تلاوة سورة «مريم» وتجاهلت الإذاعة هذه الرسائل وكاد الجمهور ييأس فأخذت أنشر رسائل القراء فى جريدة المصرى التى أكتب نقداً يومياً للإذاعة فيها ، وما كاد الجمهور يجد الصحيفة التى ترفع صوته حتى انهالت الرسائل .

وحملت مئات من هذه الرسائل الثائرة الغاضبة ، وقابلت المرحوم سعيد لطفى وطالبته بأن يستجيب لرغبات الشعب بل ولرغبات المستمعين من سائر الأقطار العربية الذين كانوا يستمعون إلى إذاعتنا ، فقال لى : إن الشيخ يرفض العودة للإذاعة وفوضنى فى أن أكون وسيط صلح بين الطرفين .

فلما التقيت بالشيخ رفعت فى داره قال لى فى أدبه المعهود وتواضعه المعروف :

"أنا يا سى محمد - وكان يخاطبنى دائماً بهذه العبارة الحلوة - لست طماعاً ولا متاجراً بكلام الله ، ولا أكره الخير لزميلى الشيخ الشعشاعى ، كلانا يستحق أكثر من هذا الأجر ، إذا كانت المقاييس بجودة التلاوة ، ولكن كرامتى تأبى أن ينظر إلىّ على أننى أقل من زميلى استحقاقاً للتقدير" .

وقد وفقنى الله إلى إقناعه بقبول الأجر الجديد الذى منح للشيخ الشعشاعى بعد أن كان الأستاذ محمد ابن الشيخ رفعت مصراً على ألا يعود أبوه إلى الإذاعة إلا بضعف أجر الشعشاعى .

وبعد سنوات بدأت تعترى حنجرة الشيخ رفعت زغطة متقطعة كان يعانى أشد العناء فى مقاومتها ، فاقترحت على المرحوم سعيد لطفى أن تقوم الإذاعة بتسجيل القرآن الكريم كله بصوت الشيخ رفعت ، فقبل الاقتراح وفوضنى فى الاتفاق مع الشيخ رفعت على أن يتقاضى ٥٠ جنيهاً عن كل شريط ، ولكن محمد ابن الشيخ رفعت ، تدخل فى المفاوضات وأصر على أن يتقاضى الشيخ رفعت ١٠٠ جنيه عن كل شريط ، على ألا يذاع شيء من هذه التسجيلات إلا بعد وفاة الشيخ رفعت .. ورفض سعيد لطفى هذا الأجر ، لأن التسجيلات كانت يومئذ تطبع على شريط معدنى كبير الحجم - اسمه شريط ماركونى - يبلغ ثمن الواحد منه ٥٠ جنيهاً، وكان تسجيل القرآن الكريم كله يحتاج إلى ٥٠ شريطاً على الأقل ، فكان على الإذاعة أن تدفع فى هذه المهمة - إذا قبل المبلغ الذى عرضته - ١٢٥ ألف جنيه مع بذل الجهد فى الحصول على هذا العدد الكبير من الأشرطة التى كانت نادرة فى ذلك الوقت ، ولسوء الحظ فشلت المفاوضات لأن المبلغ الذى كان لابد أن تدفعه الإذاعة حسبما طلب ابن الشيخ رفعت هو ربع مليون جنيه .

ولو رجع القراء إلى مجموعة جريدة المصرى القديمة لوجدوا أننى أول من أشار إلى أن السيد - خميس - التاجر المعروف والسيد زكريا باشا مهران يقومان بالتسجيل لتلاوة الشيخ محمد رفعت على أجهزة خاصة .

وأختتم هذه الكلمة برجاء إلى كل مواطن لديه أى تسجيل لم تصل إليه الإذاعة من تسجيلات الشيخ رفعت أن يتعاون مع الإذاعة على تسجيله وإذاعته والاحتفاظ به كتراث إسلامى له قيمته الكبرى .

وتحية ورحمة لروح الشيخ محمد رفعت"

كان لابد على الإذاعة أن تقوم بتسجيل القرآن كاملاً بصوت الشيخ محمد رفعت منذ بداية افتتاحها لا منذ بداية ظهور مرض الزغطة عند الشيخ الجليل .

وكان لابد على مسئول الإذاعة أن يقوم بنفسه بالاتفاق مع الشيخ رفعت على الأجر المطلوب لا أن يرسل وسيطاً ، ولو نادى سعيد لطفى فى شعب مصر العظيم لجمع المبلغ المطلوب لتسجيل القرآن كله بصوت الكروان محمد رفعت لانهالت الأموال على الإذاعة ولجمعوا مليون جنيه بدلاً من ربع مليون جنيه ، ولو حدث ذلك لامتلكنا تسجيلاً كاملاً بصوت الشيخ رفعت العظيم .

ولو لم يقم زكريا مهران باشا ومحمد خميس التاجر وعمدة الأرياف بالتسجيل للشيخ

محمد رفعت لضاع ذلك الصوت العظيم الذى ما زال يسحرنا إلى اليوم ولما عرفنا عن الشيخ رفعت العظيم شيئاً !

ويا له من قدر مُرّ، أعظم صوت فى الدنيا رتل كلام الله يحدث معه ذلك والأصوات الغثة تتوافر لدينا تسجيلات لها ونسمعها ليل نهار ولا نعيأ ولا نبالى بها ، ولكن عندما نسمع شيئاً من التسجيلات المتبقية لذلك الصوت الخالد - صوت الشيخ رفعت العملاق - تقشعر أبداننا وتوجل قلوبنا لآى الذكر الحكيم ونفيق على الفور لكلمة «سبحان الله» !!

يقول الأستاذ محمود السعدنى : وحقيقة أخرى أبلغ دلالة فالغالبية العظمى من الأشرطة التى تذاع اليوم للشيخ رفعت ، لم يكن للإذاعة فضل فيها بل إن الفضل كله يرجع إلى عشاق الشيخ محمد رفعت ، الذين لم يكونوا على صلة صداقة أو معرفة بالشيخ ، بل دفعهم الحب الصادق والاعتراف بعبقرية صاحب الصوت إلى تسجيل كل سور القرآن بدون هدف إلا هدف الاحتفاظ بهذا التراث الخالد العظيم ، فترى أحد الباشوات - هو زكريا مهران يحتفظ بتسجيلات الشيخ دون أن يكون قد رأى الشيخ مرة واحدة فى حياته .

وهناك تاجر وطنى كبير وموظف سابق أو عمدة أرياف - من عمد الأرياف - يحتفظون بنفس الشىء .. ، لأنهم أدركوا بفطرتهم الفنية السليمة أن هذا الشىء يجب الاحتفاظ به ؛ لأنه ثمين .

وقد حدث أن قطعت الإذاعة إرسالها أكثر من مرة لتذيع على الناس بشرى العثور على شريط جديد للشيخ ، ويذاع الشريط ويكون حديث الناس فى كل مكان وسيظل رفعت حديث الأجيال كفنان عملاق إلى زمن بعيد .

وتكونت جمعيات من محبى الشيخ رفعت ومريديه قاموا بتجميع ما يقرب من ٢٧٨ أسطوانة تضم ١٩ سورة مدتها ٢١ ساعة ، وقدموها هدية لإثراء المكتبة الإذاعية ، وفاءً منهم للرجل الذى كان أول من قرأ بها عند بداية افتتاحها فتعلقت القلوب بتسجيلاته الشهيرة «يوسف - الكهف - الرحمن - وآل عمران ..» وحتى اليوم وبعد رحيله بعشرات السنين ، فما زالت آذان المستمعين على اختلاف ألوانهم تسعى إلى صوته الرخيم .

وقد خرجت شهرته من نطاق المحلية إلى نطاق العالمية ويكفيه فخراً بصوته وعلمه أن إذاعات (لندن وباريس وبرلين) فى محاولة منها لجذب أنظار المستمعين فى العالم الإسلامى إلى برامجها ونشراتها الإخبارية ، كانت تذيع تسجيلاته القرآنية أثناء الحرب العالمية الثانية"

يقول الأستاذ الشاعر كمال النجمى : هذه التسجيلات ليست صورة كاملة لصوت الشيخ

محمد رفعت - رحمه الله - فهى أسطوانات قديمة سجلها المعجبون بصوت الشيخ الجليل وهو فى أخريات حياته بعد أن كبر ومرض وأوشك على الاعتزال باستثناء أسطوانتين أو ثلاث (مريم - وآل عمران - وطه) أما الباقى فهو صورة شاحبة أو قبس قليل من ذلك الشهاب الساطع المتألق ، ومع ذلك فإن هذه التسجيلات خير من لا شىء إلا أنها نفحة من صوت ذلك القارئ العظيم .

وأقول لكم أيها السامعون : إن هذه التسجيلات على ما بذل فيها من جهد ومال ، ليست إلا صورة مهتزة من ذلك الأصل الرائع العظيم الذى التقطت منه إلا أنها - على أية حال - خير من لا شىء .. فإنها كما يقال نفحة من رائحة الفنان العظيم الذى فقدناه حياً وميتاً ..

وستظل تسجيلات الشيخ محمد رفعت هى التسجيلات التى يحرص على سماعها عشاقه ومحبوه ، على كل ما فيها من وشوشة ومرض إلا أنها أعظم ما سمعنا فى دنيا القراءة .

ومهما تقدمت التسجيلات ومهما ظهرت أجهزة جديدة وأصوات حسنة فى قراءة القرآن وفى غيره ، فستظل تسجيلات الشيخ محمد رفعت تراثاً صوتياً لا يستطيع أى عصر مهما بلغت عظمته ورقيه الاستغناء عنها وقد أصاب الشاعر حين قال :

ومن العجائب والعجائب جمة
قُرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول ●

إصابته بالمرض ووفاته

وظل إمام المقرئين يرتل آيات الله فى إيمان وخشوع فوضع لنفسه مع الناس جسراً من المحبة والمتعة الروحية ، حتى قهره المرض ، فاستسلم لقضاء الله ، غير نادم على الحياة ، وكيف لا وقد قضاها مع كتاب الله ، فهو الآن فى رحاب صاحب الكتاب وسقط منه الجسد ، ولم تسقط منه الروح فى عام ١٩٥٠

ويقول الأستاذ محمد عبد الوهاب : ويمرض الشيخ رفعت فى منتصف الأربعينيات نتيجة لورم أصاب حلقه وسارت شائعات تقول : إن حساده دسوا له السم ، لكن الحقيقة هى أن احتباس صوته فى أخريات حياته ، جاء نتيجة لورم طبيعى فى حلقه اتضح أنه سرطان الحنجرة، وتمر الأيام وينتشر المرض إلى أن تفشى فى جسمه كله حتى توفاه الله .

ويضيف الشيخ أبو العينين شعيشع : فى بداية الأربعينيات ومنذ عام ١٩٤٣ ، مرض الشيخ، ولعبوا فى حنجرته فافسدوها وزد على ذلك مرض (الزغطة) ، حتى إن البعض قال : إن السبب فى ذلك هو الجن ، وكان الشيخ رفعت يقول : "كل ما جاء من عند الله فأنا راض به" .

لكن من الأسباب التى أثرت عليه حقاً - كما يقول شعيشع - معاملة الإذاعة له ؛ فقد كان دائماً يشكو لى منها عندما كنت أزوره فى بيته فى البغالة .. كانت الإذاعة كلها ضده .. وكنت أواسيه وأقول له : إن الناجح دائماً محسود .

ولم يمتد العمر بهذا الكمان السماوى ، فقد عطل أوتاره المرض ابتداء بورم بسيط أصاب حنجرة الشيخ ، الجليل عام ١٩٣٩ فلم يمكنه من السيطرة على صوته بتلك الطريقة المعجزة التى كان يقرأ بها فى العشرينيات والثلاثينيات ، وأصيب الشيخ رفعت باحتباس الصوت (الزغطة) ، وظل هذا الاحتباس يداهمه ويسيطر عليه ، واتضح أنه سرطان الحنجرة .

أصاب الشيخ المرض وأقعده عام ١٩٤٣ . وذات مرة فى أحد أيام الجمع من نفس العام وهو يقرأ ما تيسر من سورة الكهف وصل إلى الآية : **﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب ، وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً﴾** . غص صوته واحتبس فى كلمتين أو ثلاث .

وفى ١٩٤٣ يصف لنا شاهد عيان مأساة الشيخ رفعت صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن سمائى فى مصر فى القرن العشرين - وهو الأستاذ الشاعر «كمال النجمى» - رئيس تحرير

مجلة الهلال - تلك اللحظة الرهيبة التى وقعت أمامه ؛ إذ كان حاضراً بين المصلين فيقول : فى سنة ١٩٤٣ ، رأيت مشهداً مبكياً من مأساة القارئ العبقرى الشيخ محمد رفعت ، صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن غنائى فى عصرنا يعتمد على بديهة الارتجال .

رأيت مأساة فى لحظات رهيبة تشبه الحلم المرعب وقد أحاط به مئات المستمعين .. وكانت عادتى أن أقصد يوم الجمعة مبكراً إلى المسجد ، مسجد فاضل باشا بالجماميز ؛ لأجد مكاناً قريباً من الشيخ رفعت ، فقد كان صوته على تعدد مقاماته واكتماله صغير الحجم لا يستوعب دقة نبراته إلا القريبون منه ومن مجلسه .. وفى المرة الأخيرة التى سمعت فيها الشيخ رفعت ، ولم أسمعه بعدها - كان يتلو سورة الكهف فى المسجد كعادته، فقاوم الزغطة التى غص بها حلقه وقرأ ما سمحت به نوباتها المتكررة ثم سيطرت (الزغطة) على الموقف وملأت حلق الشيخ، وحبس صوته تماماً، حتى الشيخ رأسه جريح القلب لا يدرى ما يصنع، ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فيها سائل أحمر يبدو أنه دواء وصفه له بعض الأطباء فأطاعه صوته فى آيتين أو ثلاث، ثم قهره الداء وتوقف حائراً لبعض الوقت، ثم غادر مجلسه تاركاً إياه لشيخ آخر .

فى هذه اللحظة المؤسية انفجر الناس فى المسجد باكين وعلا نحيب المقرئين الشبان الذين كانوا يلتفون حول الشيخ رفعت كل أسبوع ليتعلموا طريقته وصناعته .

تحول الموقف إلى مأتم رهيب للصوت العبقرى الذى ضاع .

وبعد الصلاة خرج الناس وعيونهم فيها الدموع وقلوبهم تحف بالشيخ الحزين ، لا يدرون أيواسونه أم يواسون أنفسهم .

كانت هذه آخر مرة رأيت فيها الشيخ رفعت وسمعته فيها ، وما زال المشهد الدامى الذى خيم علينا فى تلك الجمعة الحزينة يبعث أشجانى وآلامى ، كلما خطر ببالى - وكثيراً ما يخطر ببالى - قاسياً عنيفاً كما رأيته فى ذلك اليوم الموجع الأسيف .

وكلما سمعت الآن شريطاً مسجلاً من تلاوة الشيخ رفعت أفيق من نشوتى السماوية على ذلك المشهد التاريخى الرهيب فأرى الشيخ رفعت ، كيوم رأيته فى المسجد منذ ربع قرن ، وقد احتبس صوته ، وزجاجة الأحمر تنتقل من جيبه إلى يده ومن يده إلى جيبه ، والناس من حوله يقهرهم اليأس والألم والحسرة .

والمقرئ الصغير الكفيف الذى كان يحث السامعين على الإنصات فى أول الأمر ، يقف فيهم خطيباً يحثهم على الصبر ، ثم يخونه صبره فيجهش باكياً ويضج الناس وراءه باكين ..

لقد عطل المرض تلك الأوتار السماوية ، ثم أسكتها الموت إلى الأبد ، ولم يبق منها إلا ظل باهت يتمثل فى تلك التسجيلات التى نسمعها الآن بين الحين والحين .."

ويقول الأستاذ فكرى أباظة : وهكذا تعطلت الحنجرة الإلهية السماوية واستسلم الشيخ رفعت لقضاء الله ولزم سرير المرض إلى أن توفاه الله .

وهكذا شاءت إرادة الله أن يتحطم هذا الناى الحزين وتتكسر القيثارة الذهبية التى طالما بهرت ملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، لكن صوته العبقرى سيظل باقياً كما تبقى الرسالات توقظ أرواحنا وتحيى ضمائرنا وتزيد إيماننا بآيات الله سبحانه وتعالى ، جزاه الله أحسن الجزاء - ورحمه الله رحمة واسعة بقدر ما نفع المسلمين فى دنياهم وآخرتهم .

ويقول : وما إن علم الناس بوفاته - رحمه الله - حتى اشتركت الآلاف فى تشييع جنازته وتزاحم الناس على بيته ، ولم يسبق أن أحدثت وفاة ملك أو أمير أو وزير هزة ودوياً مثلما حدث عند وفاة الشيخ رفعت العظيم . واضطرت السلطات المصرية إلى فرض حراسة على بيته وإغلاق الطرق المؤدية إليه من شدة الزحام . ودفن الشيخ على عجل فى مقبرة تبرع بها أحد معجبيه .. وفى هذا المشهد العجيب ظهر وفاء الناس الذين سبق أن فتنهم الرجل ورقق قلوبهم وبأبكاهم إلى أن بكاهم فى النهاية على نفسه ، كما ظهرت طبيعة هذا الشيخ الذى تجرد من متاع الحياة ، ولم يخلف وراءه شيئاً يذكر ، ولم يبق سوى بعض تراثه متمثلاً فى أسطوانات نادرة بذل أبناؤه أقصى ما يمكن من جهد وعرق ومال فى سبيل جمعها ومعالجة الناقص فيها .. ولا يزالون يبحثون عن بقية أسطواناته الضائعة ، مثلهم فى ذلك مثل الباحث عن البترول فى صحراء قاحلة ماحلة مترامية الأطراف .

وكتب شكرى القاضى - الجمهورية - يقول :

"الحمد لله .. الحمد لله" كانت آخر عبارات معجزة التلاوة فضيلة الشيخ محمد رفعت قبل أن يلقى وجه ربه فى فجر يوم التاسع من مايو عام ١٩٥٠ عندما طلب من زوجته قدحاً من الماء فشربه .. ثم راح يسأل عن أولاده واحداً بعد الآخر ، وبعدها لفظ أنفاسه الأخيرة ، وتمر السنون وتمضى الأيام ولا تزال أمة الإسلام فى شتى بقاع العالم تستمع لصوت الشيخ رفعت يصور آيات الله البينات ببراعة وإتقان وصدق فى الأداء مغلف بخشية ورهبة وتقديس لكلام الله تعالى ، ولا يختلف اثنان على أن الشيخ رفعت أعظم من جوَّد القرآن بصوته ، ولعله الوحيد بين جميع من أنجبتهم مصر فى عالم التلاوة الذى يستحق لقب خادم القرآن الكريم بحق ، فقد كان الرجل يهب حياته لخدمة القرآن حباً فى الله وابتغاء ثوابه ولم ينتظر الشيخ رفعت ثواباً من

أحد رغم أنه كان يستطيع أن يحصل على ما يريده من متاع الدنيا ولكن الرجل عاش زاهداً فى الدنيا وفى متاعها ؛ فاستحق حب وتقدير ملايين المسلمين له والتفافهم حول صوته الملائكى فى حياته وبعد مماته ، وبعد مضى ما يقرب من أربعين سنة على صعود روحه إلى بارئها ما زال مريدو الشيخ وعشاق صوته يحرصون على إحياء ذكراه فى مقبرته بطريق صلاح سالم ، تلك المقبرة التى يدرك كل من يراها أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم الشيخ حياً وميتاً ؛ فالمقبرة تظللها مجموعة من الأشجار الضخمة والنباتات المتسلقة ، وتحيط بها الورود والأزهار من كل نوع" .

حتى إنه بعد موته وبعد ضياع أخلد أعماله وهو صوته ، وبقاء عدة أشرطة قديمة سيئة التسجيل ، بعضها يسيء إلى رفعت أكثر مما يحسن إليه ، رغم هذا كله فقد أثبت الشعب أنه وفى وفاء منقطع النظير .

مثلاً وهذه حقيقة وليست خرافة .. أقسم أحد كبار الجزارين أن جسد العبقرى لن يدفن إلا فى المقبرة التى أعدها له ، وكان قد أعد فى صمت وبلا ضجيج مقبرة عظيمة تليق بعظمة الراحل الكريم وأصر الجزار الطيب على أن يحمل نعش الشيخ بنفسه إلى مثواه الأخير .. ووفد على مأتم الشيخ رفعت آلاف من مختلف أنحاء البلاد ، لم تكن لهم صلات بالشيخ إلا صلة التقدير والإعجاب .

وعندما سمع مفتى سوريا الخبر قال ولحيته مبللة بالدموع : رحم الله شبابه فقد جدد شباب الإسلام . ولا يزال مجهولون كثيرون يزورون قبر الشيخ فى صمت ليقرءوا الفاتحة على روح الفقيد .. وإلى عهد قريب كانت فى العاصمة وأنحاء أخرى متفرقة من البلاد مقاه تخصص لمستمعى رفعت قاعات بداخلها ليستمعوا إلى ما تبقى من الشيخ فى هدوء .

وسيأتى يوم وتصبح للفنون الرفيعة الخالدة جامعة ، ويكون صوت المرحوم محمد رفعت على رأس هذه الفنون - كما أوضحنا من قبل - فإن كل فن خالد جميل يجب أن يستمد وجوده من حياة الناس من فنون الشعب .

ولقد كتبت مرة سابقة عن الشيخ رفعت فقلت : إن سبب خلوده يرجع إلى أن صوته كان من السماء والآن أعترف بخطئى وأعود فأقول : إن سر خلود الشيخ يرجع إلى سبب واحد ؛ أن صوته العبقرى نبع من آمال الناس وآلامهم ، من أسواقهم وحواريهم ومن أفراحهم الساذجة، وأحزانهم العنيفة ، بعبارة أبسط .. لقد كان صوته من جذور الأرض ، كان صوته هو صوت الشعب ..

ويقوم المحبون بالاحتفال فى ذكراه الخالدة ، ويتحدث كثير من الناس عن ذكراه .

يقول السيد منصور الريانى - عضو جمعية النهضة الإسلامية تحت عنوان «ما قل ودل» : الشيخ محمد رفعت ذو الصوت الملائكى والموسيقى الذى هز أوتار القلوب شغف آذان الملايين من المسلمين والمسيحيين تحل ذكراه العطرة ، حيث ولد فى مايو ١٨٨٢ م ، وتوفى فى مايو ١٩٥٠ .

وحق على هذا العالم إحياء ذكراه العظيمة ولا سيما فى جميع جهات الإعلام الرسمية والشعبية ، حيث سبق أن أهديت له ميدالية تقديرية .. ولأستاذنا الصاوى ذكريات عظيمة ووفاء كبير له حيث إنه عندما أصيب الشيخ رفعت فى صوته أعلنتم سيادتكم فى «ما قل ودل» بالأهرام عن فتح اكتتاب له فأقبل الملوك والأمراء وغيرهم بالتبرع بآلاف الجنيهات ولكن الشيخ رفعت رفض شاكراً لكم ولهم ، وأذكر أنه فى حفل زفاف نجل الشيخ عبد العزيز السحار كبير معلمى القرآن بالحسينية أحيا الحفل الشيخ رفعت فى سنة ١٩٢٢ مجاناً فكان صوته معجزة - ولا يزال - لم يأت الدهر بمثلها ولله در الشاعر القائل :

الناس صنفان : موتى فى حياتهمُ   وآخرون ببطن الأرض أحياء

وجزى الله المرحوم زكريا مهران باشا خيراً حيث كان يترك أعماله ليحظى بسماع الشيخ رفعت، ويسجل له من تلاوته المجيدة وبلغ من افتتان الناس عند تلاوته فى الإذاعة عام ١٩٣٤ ، أن كانوا يفترشون الأرض لازدحام المقاهى .. وتتوقف الحركة تماماً فى سكون وخشوع .

ومن عجيب قدر الله أنه ولد وتوفى فى يوم الاثنين وكانا موافقين للتاسع من مايو لعلها حكمة إلهية - رحم الله الشيخ بقدر ما أعطى وبقدر ما أثلج القلوب .

وعندما ذهبت إلى قبر الشيخ رفعت بمدافن السيدة نفيسة - رضى الله عنها - وجدت مكتوباً عليه «مدفن المرحوم الشيخ محمد رفعت المقرئ» المتوفى فى يوم الثلاثاء ٢٢ رجب سنة ١٣٣٩ هـ ، الموافق ٩ مايو ١٩٥٠ م ●

رثاؤه

ومما قيل من شعر فى رثـائه ما قاله أحمد عبد اللطيف بدر - فى ذكرى القارئ الورع خالد الذكر الشيخ محمد رفعت :

يا خـالد الذكـر لم تـذهب فـأنت لنا — ذكـر من الـله مـوصـول بـقـرآنِ

فى جـنة الخلد تحـيـا آمنا غـردا — تجـاوب الطيـر فى روح وريحـانِ

وقال أيضاً :

يا مـشـرق النور فى آيات تنـزيل — أشـرف علينا بـذكـرى حـسن ترتيل

ترتيل رفـعت قـد رفـعت مكانـتـه — بين ابتـهال يجاوب صـوت جبـريل

فـيـه خـشـوع تجلى مـن تلاوته — والصـوت يعلو بتسـبـيح وتـهليل

إن القـلوب بنـور الحق قـد ألـفت — من بعـد أن سمـعت من دون تهـويل

صـوت تجلى وفـيـه الروح منبـعث — يفـسـر الآى منه حـسن تـأويل

وقف ووصل وإفـهـام ومـعـرفـة — فـيض من الله فـيـه كـل تبـجـيل

يميـل بالصـوت فى إبداع مـقـدرة — لا فى غـنـاء بـه إسـراف تميـيل

من كل حـرف تجلى القـول مـؤتلقـاً — يمـثل الروح فـيـه خـيـر تمثـيل

فـيـه الجـمـال عـلى طبع بفـطرته — ليـست قـراءته عن فـرط تجـمـيل

اللـه أكـرمـه والديـن قـدره — وصـوته بين إجـمـال وتفـصـيل ●

آثار الشيخ رفعت

لقد خلف الشيخ محمد رفعت رحمه الله وراءه عدداً من الأسطوانات المسجل عليها بصوته الجميل العذب .

وقد نقلت هذه التسجيلات بعد ذلك على عدد من الأشرطة بعد محاولات كثيرة لتنقية الصوت من (الوشوشة) .

ومن يذهب إلى صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات يستطيع الحصول على عدد من الأشرطة بصوت المرحوم الشيخ محمد رفعت والتى تحتوى على الآيات والسور التالية :

(١) سورة الفاتحة : كاملة
(٢) سورة البقرة : من الآية ٢٥ إلى ٢٩) ومن (٤٤ إلى ٧٣)
(٣) سورة آل عمران : من الآية (٣٣ إلى ٥١)
(٤) سورة النساء : من الآية (٥٨ إلى ٧٩) ومن (١٢٨ إلى ١٣٩) ومن (٥٤ إلى ١٥٩) ومن (١٧٠ إلى ١٧٣)
(٥) سورة المائدة : من الآية (٢٣ إلى٤٨) ومن (٨٨ إلى٩١) ومن (١١١إلى١١٧) ومن (٥٦ إلى٧٢).
(٦) سورة الأنعام : من الآية (٨٢ إلى ٨٦) ومن (٨٨ إلى ١٠١) ومن (١٤١ إلى ١٥٩) ومن (١٢٤ إلى ١٢٦) .
(٧) سورة الأعراف : من الآية (٣٢ إلى ٣٥) .
(٨) سورة التوبة : من الآية (١٦ إلى ١٨) ومن (٧١ إلى ٨٥) ومن (١٢١ إلى ١٢٨) .
(٩) سورة يونس : من أول السورة إلى الآية (١٠) ومن (١٨ إلى ٣١) ومن (٣٥ إلى ٦٤) ومن (٦٧ إلى ٧٢) .
(١٠) سورة هود : من الآية (١٣إلى ١٧) ومن(٢٣ إلى٢٨) ومن (٦١ إلى ٧٥) ومن (٨٤ إلى ١٠٨).
(١١) سورة يوسف : من أول السورة إلى الآية (٢٧) ومن (٥٣ إلى ٨٢) ومن (١٠٨ إلى ١١٠) .
(١٢) سورة الرعد : من أول السورة إلى الآية رقم(١٦)، وتلاوة أخرى من أول السورة إلى الآية رقم(٩).
(١٣) سورة إبراهيم : من الآية (١٠ إلى ١٥) ومن (٣٩ إلى ٤١) .
(١٤) سورة الحجر: من الآية (٢٢ إلى ٤٦)
(١٥) سورة النحل : من الآية (٣١ إلى ٣٢)
(١٦) سورة الإسراء : من الآية (١ إلى ١٤) .
(١٧) سورة الكهف : من الآية (١ إلى ٢١) ومن (٤٦ إلى ٤٧) ومن (٦٠ إلى ٨٩)
(١٨) سورة مريم : من الآية (١ إلى ٣٦) ومن (١ إلى ٤٠)
(١٩) سورة طه : من الآية (١ إلى ٥٢) .
(٢٠) سورة الحج : من الآية (٢٧ إلى ٣٦) .

(٢١) سـورة النور : من الآية (٣٥ إلى ٣٨)
(٢٢) سورة الفرقان : من الآية (٥٣ إلى ٥٩) ومن (٦١ إلى ٧٦) .
(٢٣) سورة الفتح : من الآية (١ إلى ١١) ومن (١٧ إلى ٢٠)
(٢٤) سورة الطور : من الآية (١٧ إلى ٢٨)
(٢٥) سورة القمر : من الآية (١ إلى ٧)
(٢٦) سورة الرحمن : كاملة وله فيها تسجيلان
(٢٧) سورة الواقعة : من الآية (١ إلى ٣٨)
(٢٨) سورة الطلاق : من الآية (١ إلى ٧) .
(٢٩) سورة الجن : كاملة
(٣٠) سورة المزمل : كاملة وله فيها تسجيلان .
(٣١) سورة القيامة : من الآية (١ إلى ٢٣)
(٣٢) سورة الإنسان : كاملة وله فيها تسجيلان .
(٣٣) سورة المرسلات : كاملة
(٣٤) سورة النبأ : كاملة
(٣٥) سورة الانفطار : كاملة
(٣٦) سورة المطففين : كاملة
(٣٧) سورة الإنشقاق : من الآية (١ إلى ١٥)
(٣٨) سورة البروج : كاملة
(٣٩) سورة الطارق : كاملة
(٤٠) سورة الأعلى : كاملة
(٤١)سورة الغاشية : كاملة
(٤٢) سورة الفجر : كاملة
(٤٣) سورة البلد : كاملة
(٤٤) سورة العلق : كاملة
(٤٥) سورة القدر : كاملة
(٤٦) سورة البينة : كاملة
(٤٧) سورة الزلزلة : كاملة
(٤٨) سورة العاديات : كاملة
(٤٩) سورة القارعة : كاملة
(٥٠) سورة التكاثر : كاملة
(٥١) سورة العصر : كاملة
(٥٢) سورة الهمزة : كاملة
(٥٣) سورة الفيل : كاملة
(٥٤) سورة قريش : كاملة
(٥٥) الأذان : وله فيه تسجيلان .

تلك كانت آثار تسجيلات الشيخ المرحوم محمد رفعت - رحمة الله عليه .

معلومة :

كانت تذاع تسجيلات الشيخ رفعت من إذاعة القاهرة فى يوم الاثنين من الثامنة إلى الثامنة والنصف مساءً ، كما أن إذاعة الشرق الأوسط المصرية ، اتفقت عند إنشائها على الافتتاح والانتهاء بصوت الشيخ رفعت ثلاث مرات فى اليوم فى الصباح والظهيرة والليل لأنها تبث برامجها على فترتين واتفقت السيدة آمال فهمى مع أولاد الشيخ رفعت على أن تكون إذاعة الشريط القرآنى لوالدهم لمدة ٥ دقائق مرتين بنصف أجر والثالثة مجاناً ..

والآن تذاع تسجيلات المغفور له - محمد رفعت - على إذاعة القرآن الكريم من السابعة وخمس دقائق وذلك على مدى نصف ساعة ، أى حتى السابعة والنصف وخمس دقائق ، وتذاع تسجيلاته على إذاعة الشرق الأوسط قبل أذان الفجر بعشر دقائق ولمدة عشر دقائق صباحاً من السادسة وست دقائق إلى السادسة وإحدى عشرة دقيقة ..

وعلى إذاعة صوت العرب مساء يوم الجمعة من كل أسبوع لمدة نصف ساعة ●

الخاتمة

هكذا طفنا مع حياة ذلك القـارئ العظيم الشيخ محمد رفـعت ، الذى استطاع أن يجمع الناس من حوله فى مسجد متواضع على اختلاف أجناسهم لسماع آى الذكر الحكيم .

والشيخ محمـد رفعت يحتاج إلى مجمـوعة من العلماء المتخصصـين فى علوم شتى - كعلوم التفسير ، و القراءات ، والتجويد والصـوتيات ، والموسيقى وعلماء الإلقاء .. وغيرها من العلوم - للحديث عن هذه المعجزة ، ولكن هذا بعض ما وفقنى الله إليه .

فصوت الشيخ رفعت عبارة عن مجموعة من الأصوات اجتمعت وكونت صوته العظيم الخالد.

عاش الرجل حياة كلها عفة ورضى وتقوى ، إيمـان بالله وكتابه ، عاش فقيراً ، ولو أراد الغنى لكان أغنى الأغنياء ولكن اكتفى بغنى نفسه .

يا له من رجل عظيم ينطبق عليه قول رسولنا الكريم ﷺ: "إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القـيامة بمكانتهم من الله عز وجل ، قال رجل ، فمن هم وما أعـمالهم ؟ لعلنا نحبهم ، قـال رسول الله : قوم يتـحابون بروح الله عز وجل من غيـر أرحام بينهم ولا أموال يتـعاطونها بينـهم ، والله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور ، لا يخـافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حـزن الناس ، قالوا : ثم قرأ : ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

مـات جسده لكـن روحه حيـة وسـتظل خـالدة إلى الأبد ، يتطلع المحبـون ممن لم يروه ولم يعاصروه أن يعرفوا كل شيء عن حياة ذلك الطود الشامخ ذلك الصرح العظيـم - رحمه الله .

لعل كتـابى هذا يكون عوناً لكل من يريد مـعرفـة من هو الشيخ العظيم والقـارئ الفذ محـمد رفعت ، وما دعانى إلى هذا العمل إلا حبى الخالص لهذا العظيم .

وأختتم كـتابى بقصة حدثت مـعى : عندما دخلت مسجد فـاضل باشا وسـألت عن المكان الذن كان يجلس فـيه الشيخ رفعت ، أخـبرونى - خدم المسجـد - بأن «الدكة» التى كان يجلس عليـها الشيخ ويقرأ القرآن عليها هى الموجودة الآن بالمسجد .

فمنذ ذلك الحـين تحضرنى صـورة الدكة وقد وُضـعت على برج عال والشيخ رفـعت يقرأ من مصحف مفتوح موضوع فوق مـقعدته، والشيخ رفعت يضع يديه على أذنيه، ونور شديد يشع من فوق، والشـيخ نازل من السماء، ويصل صـوت الشيخ رفعت إلى الأرض فـيسمـعه أهل الأرض جميعا .



المصادر

الكتب والصحف والمقالات :

* تفسير ابن كثير . تفسير قصة سيدنا أيوب عند الآية "وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .." من سورة الأنبياء - المجلد الثالث ص ٢٩٩ - ٣٠٠ - دار الفكر .
* من سلسلة اقرأ - بعنوان: أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث - أحمد البلك - دار المعارف - القاهرة.
* ألحان السماء - محمود السعدنى - يناير ١٩٩٦ - دار أخبار اليوم .
* فن تربية الصوت وعلم التجويد - عطيات عبد الخالق - ناهد أحمد حافظ .
* صحيفة السياسة الكويتية - حلقات عن إمام المقرئين الشيخ محمد رفعت - حلقة (٢، ٣، ٤) بقلم : الأستاذ محمد صفوت .
* كتيب الكواكب - بعنوان : (نجوم قراءة القرآن) .
* د. مصطفى محمود - بعنوان - صوت يقرأ القرآن - الأهرام .
* مقالات الأستاذ كمال النجمى رئيس تحرير مجلة الهلال - بعنوان : أعظم صوت أحيا ليالى رمضان .
* سيناريو الأستاذ عبد الله أحمد عبد الله - عن حياة الشيخ محمد رفعت - إخراج شوقى عمران ٢/ ٥/ ١٩٨٠ .
* برنامج صباح الخير يقدم قصة حياة الشيخ رفعت كما كتبها ابنه الأكبر محمد محمد رفعت .
* مقال الأستاذ أحمد الصاوى محمد - بعنوان - ما قل ودل - الأهرام .
* مقال الأستاذ أنيس منصور - بعنوان - مواقف - الأهرام .
* الحوارات الإذاعية والصحفية التى دارت مع العلماء والفنانين عن حياة وصوت الشيخ محمد رفعت .
* صوت السماء - حياة الشيخ محمد رفعت - سيناريو من تأليف: محمد دواره . إخراج: فتح الله الصفتى.
* ما قاله أحمد عبد اللطيف بدر - من شعر فى رثاء الشيخ رفعت - ٩/ ٥/ ١٩٧٧ .
* وغيرها من المقالات الأخرى .
* جريدة الجمهورية - ٢٤ مايو ١٩٨٩ ، ٦ مايو ١٩٩٢ - شكرى القاضى .
* الأهرام المسائى ١٤ مارس ١٩٩٣ محمد باهى .
* الأنباء - ٥/ ٤/ ١٩٩٢ محمد بكر
* أكتوبر ١٩/ ١/ ١٩٩٧ سعد القاضى .
* الجمهورية ٢١/ ٣/ ٩٢ نجوى فؤاد بعنوان : "معركة الأستاذ محمد رفعت" .

الفهرس



قيثارة السماء ، سيد المقرئين وإمام المرتلين والمجودين الشيخ **محمد رفعت** .

كتاب الله القرآن الكريم ، صفة من صفاته ، خطابه الأخير إلى الإنس والجن أجمعين يحمل الأمر بالهدى والنهى عن الردى ويقود إلى السمو والعلا ..

ما أعذب كلماته ، وما أطيب نفحاته ، وما أرقى معانيه .

وقد كان إمام القراء الشيخ محمد رفعت الكفيف ذوالبصيرة صاحب الحنجرة الذهبية ، خير من كشف عن معانى الحق فى هذا العصر ، وأفضل من جلى عن كنوزه الثمينة بروعة فهمه ودقة أدائه وشرف إتقانه وإخلاصه .

يقود القلوب إلى النور ويؤم الأفئدة إلى اليقين والتقوى.

وذلك الكتاب يصحبك فى رحلة شائقة مع هذا الشيخ النابغة، يعرفك على موطنه وأسرته وميلاده ، ونشأته وحفظه لكتاب الله تعالى وتلاوته له وزهده فى الدنيا ومجده وعطائه، والذين أسلموا على يديه وكيف رزقه الله تلك المكانة وكيف حظاه تلك الحظوة وأنزله هذه المنزلة .

المؤلف

22
09
i

